روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

ذئاب ودماء

٥٣

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل • ذئاب ودماء • ٥٣ • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٥٣



ذئاب ودماء

- هل سيبقى (أدهم) على قيد الحياة، ليواصل صراعه مع ذئاب الجبال؟
- لماذا سالت الدماء أنهارًا، فى أعماق جبال (الإنديز)؟
- لمن سيكون النصر، وسط ذلك الفيض من الذئاب والدماء؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة؛ لترى كيف يعمل (رجل المستحيل).



العدد القادم: رحلة الهلاك

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ — بين أسنان القرش ..

أشرقت شمس الصباح على مدينة (ليما) ، عاصمة (بيرو) ، وألقت ضوءها على مبنى السفارة المصرية ، الذى يحتل ناصية مميَّزة ، فى أرقى أحياء العاصمة ، ونفث السفير المصرىّ دخان سجارته فى عمق ، وهو يتطلَّع إلى سلسلة جبال (الإنديز) ، التى تبدو شاحبة فى الأفق ، فغمغمت زوجته فى صوت خافت ، وكأنها تخشى أن يعلو صوتها على صوت أفكاره :

— أمازلت تفكرّ فى رجل المخابرات ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وتمتم فى قلق واضح :

— لا يمكننى التفكير فى سواه ، إنه شاب رائع ، لم يتردَّد لحظة فى اقتحام جبال الموت .. لاستعادة زميلته المخطوفة(*)

ربَّتت زوجته على كتفه فى هدوء ، وغمغمت :

— حياة رجال المخابرات تختلف عن حياتنا يا عزيزى ، فالأمور التى ننظر إليها برعب وفزع ، ونعتبرها أهوالاً يشيب

(*) راجع الجزء الأول ، قصة (جبال الموت) .. المغامرة رقم (٥٢) .

لها الوليد ، قد تبدو لهم أمورًا روتينية عادية ، لا يرتجف لها رمش واحد منهم .

ابتسم السفير فى شحوب ، وغمغم :

— ربَّما ، ولكننى لا أستطيع أن أنسى ، أنه يفعل ذلك من أجلنا أيضًا .

استعاد ذهنها بسرعة كل المخاطر ، التى تعرَّضت لها السفارة المصرية فى (ليما) ، على أيدى منظمة (ذئاب الجبال) ، التى يسعى (أدهم) خلفها فى جبال (الإنديز) ، فشحب وجهها بدورها ، وأطرقت برأسها ، وهى تغمغم :

— نعم .. إنه يفعل ذلك من أجلنا .

* * *

« إنها عملية تأديبية !! عملية تأديبية !! عملية تأديبية !! » .

دوَّت تلك العبارة المتكرِّرة فى رأس (أدهم) ، وهو يهوى فى أعماق البئر السحيقة ، التى ألقاه فيها ذئاب الجبال ، واستعاد ذهنه القصة كلها ، مع سقوطه المخيف ..

لقد بدأ الأمر بنفس العبارة ، حينما تعرَّضت السفارة المصرية ، وتعرَّض العاملون فيها لسلسلة من الحوادث ، على

أيدى ذئاب الجبال ، وقرَّرت المخابرات المصرية القيام بعملية تأديبية ، لتلقين ذئاب الجبال درسًا قاسيًا ، وتطوَّع هو و (منى) لهذه المهمة ..(*)

وتذكرَّ كيف بدأت المهمة باشتباك مباشر مع ذئاب الجبال ، فى حديقة السفارة المصرية ، وكيف تطوَّر الأمر إلى صراع عنيد بينهما ، وبين (سانشو) ، زعيم الذئاب ، الذى يعاونه رجل (الموساد) (جولدمان) ، وكيف أعد (سانشو) خطة شيطانية محكمة ، أمكنه بواسطتها اختطاف (منى) ، ونقلها إلى وكر الذئاب ، فى أعماق (الإنديز) ..

وانطلق (أدهم) خلف ذئاب الجبال ، واجتاز أهوالاً فى طريقه إليهم ، فعبر هوة الموت ، وقاتل الذئاب الحقيقية فى وادى الهلاك ، حتى وصل إلى الوكر ..

ولأول مرة فى حياته ، وقع (أدهم) ضحية فخ ثان . اضطره للاختيار بين حياة (منى) أو حياته ..

واستسلم (أدهم) ..

لأول مرة فى حياته ، ذاق مرارة الهزيمة .

(*) راجع الجزء الأول : قصة (جبال الموت) .. المغامرة رقم (٥٢) .

وحكم عليه (سانشو) بالموت ، فى أعماق بئر ، يمتلئ قراره بأسماك القرش المتوحشة ، وطبقًا لشريعة الذئاب ، هوى (أدهم) فى البئر ، ومعه خنجر واحد ، بعد أن ألقى الذئاب بحيوان ذبيح فى أعماق البئر ..

وانقطعت ذكريات (أدهم) ، التى مرقت فى رأسه كالبرق ، حينما ارتطم جسده بمياه البئر ، وغاص وسط برودتها وظلامها ، ليبدأ صراعه مع أسماك القرش .

* * *

كان الماء شديد البرودة ، مظلمًا كليل بلا نجوم ، وشمَّ (أدهم) رائحة دماء الحيوان الذبيح ، وتحفَّزت حواسُّه ، انتظارًا لهجوم أسنان القرش .

واستكان (أدهم) فى هدوء ، وترك جسده يطفو فى سكينة ، دون أن يحاول تحريك أطرافه ، حتى لا يجذب انتباه أسماك القرش ، التى لا يراها من فرط الظلام ..

كان موقفًا رهيبًا ، يجمد له الدم فى العروق ، وكان (أدهم) يشعر بتوتر حقيقى ، وهو يحاول اختراق حجب الظلام بعينيه ، ويتوقَّع أن تطبق أسنان القرش على جسده فى أية لحظة ..

وفجأة احتك به جسد ضخم لزج ، وارتجفت المياه فى قوَّة ، وتناثر رذاذها فى وجهه بعنف ..

لم يكن يرى شيئًا ، ولكنه كان يعلم أن فك القرش مفتوح عن آخره ، استعدادًا لالتهامه .

وغاص (أدهم) بجسده فى أعماق المياه الباردة بسرعة مذهلة ، ودفع خنجره إلى الأمام فى قوة ، وشعر به يخترق جسدًا رخوًا ، وتلاطمت المياه حوله فى قوة ، واكتسبت طعم الدَّم ، فنزع خنجره من جسد القرش ، وأسرع يغوص أعمق وأعمق ، مبتعدًا عن الدِّماء ، فقد كان يعلم أن أسماك القرش الأخرى ، التى ستجتذبها رائحة الدماء ، لن تلتفت إليه ، قبل أن تلتهم جسد قرينتها الجريحة ..

وأخذ (أدهم) يتحسَّس جدران البئر بسرعة ، ثم اندفع عبر الجانب المفتوح منها ، وهو يكتم أنفاسه تحت الماء ، وينطلق وسط ظلام دامس رهيب ..

وكانت رحلة مرعبة فى أعماق الماء ..

كان يشعر بمرور أسماك القرش إلى جواره ، وهى تندفع نحو رائحة الدم ، ويحاول تجاهلها ، وهو يواصل السباحة فى الاتجاه العكسى ، بحثًا عن منفذ للهواء ..

وطال انطلاقه فى الممر المظلم الطويل ، وشعر برئتيه تكادان تنفجران من شدة احتياجه للهواء ، وبدا له الطريق طويلاً .. لا نهاية له ، وهو يشق الماء بذراعيه ، ويدفع جسده بقدميه ، حتى شعر أخيرًا أنه لم يعد يحتمل ، وغمغم فى أعماق نفسه باستسلام :

ــ لا تكابر يا (أدهم) .. لكل شىء نهاية ..

ثم دفع جسده دفعه أخيرة ، قبل أن يترك نفسه للتيار فى استكانة ..

* * *

فجأة اندفعت دفقة من الهواء إلى صدر (أدهم) ، وشعر بوجهه يرتفع فوق سطح الماء ، واتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يحدِّق فى جدران كهف ضخم ، من تلك الكهوف الراقدة فى جوف الجبل ، وأغمض عينيه فى ألم ، حينما سقطت أشعة الشمس على وجهه ، بعد سباحته لفترة طويلة تحت الماء ، فى ظلام دامس ، ثم عاد يفتحهما ، وهو يهتف فى مزيج من الدهشة والظفر :

ــ يا إلٰهى !! .. يبدو أن ملك الموت لم ينتبه إليك هذه المرة أيضًا يا (أدهم) .

وأعادت إليه المفاجأة نشاطه وحيويته ، فأخذ يحرِّك ذراعيه وقدميه فى الماء ، ليحفظ توازنه على سطحه ، وهو يدور بعينيه فى المكان ..

كان النفق الذى يمر تحت الجبال ، ويحمل مياه المحيط ، يتوقَّف هنا ، فيما يشبه بحيرة صخرية واسعة ، صنعتها الطبيعة داخل كهف فسيح ، ترتفع جدرانه شاهقة ، حتى فتحة فى نهايتها ، يسقط منها ضوء الشمس فى الشروق ، فيغمر الكهف بضوء هادئ ، شبه متجانس ..

كانت معجزة أن ينجو (أدهم) من هذا الموقف المهول ، وأن يصل إلى هذا المكان بالذات ..

وأخذ (أدهم) يسبح فى هدوء نحو حافة البحيرة ، وهو يشعر بالسعادة والعزم ، وبأن الله (سبحانه وتعالى) قد أراد له أن يواصل قتاله مع ذئاب الجبال ..

وفجأة شعر (أدهم) بصوت يشق الماء خلفه ، فالتفت فى سرعة ، وعقد حاجبيه وهو يغمغم :

ــ يبدو أن النهاية ليست قريبة إلى الحد الذى كنت أتصوَّره .

فقد كانت هناك زعنفة رأسية ضخمة تشق الماء نحوه ، وأسفلها سمكة قرش مفترسة ..

* * *

٢ ـــ بحيرة الدماء ..

لم تتوقف (منى) عن البكاء لحظة واحدة ، منذ رأت ذئاب الجبال ، وهم يدفعون (أدهم) إلى أعماق البئر ، ومع كل دمعة تنهمر من عينيها ، كانت تسترجع ذكريات مغامراتها السابقة بصحبة (أدهم) ، ووجدت نفسها تغمغم فى لوعة وألم :

ـــ وداعًا يا (أدهم) .. وداعًا أيها الحبيب .. يا من جبت أركان العالم الأربعة ، وحطّمت عتاة الجاسوسية والإجرام ، وداعًا يا من كان اسمك وحده يثير الرعب فى قلوب أعداء مصر .. وداعًا يا رجل المستحيل .

فاجأها صوت (جولدمان) الشامت الساخر ، وهو يقول :

ـــ يا لها من مرثية !! من الواضح أنك تحملين عاطفة قوية تجاه ذلك الشيطان المصرى ..

كان يتحدث بلغة عربية ، وبلهجة مصرية سليمة ، مما جعل (منى) تهتف فى حنق :

ـــ إذن فقد قضيت شبابك فى مصر أيها الوغد .

ابتسم (جولدمان) فى سخرية ، ولوّح بذراعه فى حركة مسرحية ، وهو يقول :

ـــ لقد كان لذلك عظيم الأثر فى انضمامى إلى (الموساد) أيتها المصرية .

امتلأت نفس (منى) بالغضب ، فهتفت فى صرامة :

ـــ كان ينبغى أن نشنقك ، قبل أن تهاجر إلى إسـ ..

قاطعها (جولدمان) فى سخرية :

ـــ لقد حدث ذلك قبل مولدك يا فتاتى ، وقبل أن يبلغ زميلك القتيل الخامسة من عمره .

ارتجف جسدها لعبارته ، وعادت تهتف فى غضب :

ـــ سيعود (أدهم) أيها الحقير .. سيعود كما وعد .

أطلق (جولدمان) ضحكة ساخرة ، فى نفس اللحظة التى دخل فيها (سانشو) إلى الحجرة ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول فى حِدّة :

ـــ ماذا يحدث هنا ؟

التفت إليه (جولدمان) ، وقال فى سخرية ، مستخدمًا اللغة الإسبانية :

ـــ إنها تقول إن ذلك الشيطان المصرىّ سيعود .

ابتسم (سانشو) فى سخرية ، وقرض طرف سيجاره فى حركة سريعة ، ثم دسّ الطرف الآخر بين شفتيه ، وأشعله وهو يقول :

ـــ يعود من بئر القرش ؟! .. يا لها من متفائلة !!

وتألقت عيناه فى وحشية ، وهو يردف :

ـــ لو أنه فعل ، فسأطلق عليه عن حق ، لقب (رجل المستحيل)

★ ★ ★

تركنا (أدهم) فى البحيرة المغلقة ، فى أعماق الجبل ، وسمكة القرش المفترسة تندفع نحوه ، وأسنانها الحادّة تستعد لالتهامه ، وهو لا يحمل سوى خنجره ..

ولكن (أدهم) بدا ـــ فى هذه اللحظة ـــ أهدأ من رجل يسترخى على مقعد وثير ، فى حجرة أنيقة ، يستمع إلى موسيقى كلاسيكية هادئة ، فقد ابتسم فى سخرية ، وغمغم فى حزم :

ـــ الأمر هذه المرة يختلف يا سمكة القرش ، فأنا أراك فى وضوح .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى غاص فى أعماق البحيرة بسرعة ومهارة ، حتى أن أسنان القرش قد أطبقت على مزيج من الماء والفراغ ، فى حين شقّ (أدهم) الماء أسفلها فى قوّة ، ودار حول سمكة القرش الرهيبة ، وتعلّق بزعنفتها الرأسية ، ثم أغمد خنجره فى جسدها بلا تردّد .

ثارت سمكة القرش ، وأخذت تضرب الماء بزعنفتها ،



ودار حول سمكة القرش الرهيبة ، وتعلّق بزعنفتها الرأسية ، ثم أغمد خنجره فى جسدها بلا تردُّد ..

وتغوص عميقًا ، محاولةَ التخلص من ذلك الشيطان ، الذى تشبَّث بزعنفتها فى قوَّة ، وانهال عل[illegible]ـها بطعنات قوية محكمة ، جعلت سطح البحيرة يصطبغ بدمائها ، فى حين كتم (أدهم) أنفاسه تحت الماء ، وهو يقول لنفسه :

ــ لا تدعها تهزمك يا (أدهم) .. لابدَّ لك من العوده ، وإنقاذ (منى) .

وفى ضربة محكمة أخيرة ، غرس أدهم خنجره حتى مقبضه ، فى عين سمكة القرش ، التى انتفض جسدها الضخم فى قوة ، ثم استكانت حركتها ، وبدأت تغوص فى أعماق البحيرة فى سكون ، فتخلَّص (أدهم) من زعنفتها ، وبدأ يدفع ذراعيه فى أعماق البحيرة ، محاولاً الصعود إلى السطح ، ولكنه فوجئ أمامه بخمس من أسماك القرش ، تندفع إليه فى وحشية واضحة ..

★ ★ ★

لو أن مراقبًا قدِّر له أن يشهد ما حدث فى تلك اللحظة ، لأقسم فى ذهول ، أن (أدهم صبرى) هو أكثر أهل الأرض برودًا وهدوءًا ، فقد واصل صعوده إلى سطح البحيرة ، متجاهلاً أسماك القرش الخمس تمامًا ، حتى أنه عبر وسطها ، دون أن يلتفت إليها ..

والأعجب أنها لم تلتفت إليه أيضًا ..

وكان (أدهم) يعلم أنها لن تفعل ..

كان عقله ، الذى يعمل دائمًا ، وبلا توقف ، يعلم أن أسماك القرش الخمس لن تهاجمه ، إلّا بعد أن تلتهم جثة زميلتها ، التى جذبتها إليها رائحة الدماء ، المنبعثة من طعنات خنجر (أدهم) ..

وهذا ما حدث ..

لقد انقضّت أسماك القرش الخمس على جسد زميلتها ، فى حين صعد (أدهم) إلى سطح البحيرة ، وأخذ يضرب بذراعيه فى قوَّة ، سابحًا نحو شاطئها الصخرى ، ولم يكد يصل إليه حتى تشبَّث بالصخور ، وقفز خارج الماء فى رشاقة ، ثم استلقى على الشاطئ يلهث ، ويتطلَّع إلى الفجوة العالية فى قمة الكهف .

لم يكن جسده قد ذاق طعم النوم لحظة واحدة ، منذ بدأ قتاله مع ذئاب الجبال ، وكان يشعر برغبة قوية فى أن يغلق عينيه ، ويستسلم لنوم عميق ، ولكنه تذكَّر أن (منى) لم تزل أسيرة لدى ذئاب الجبال ، فعاد يعتدل فى نشاط مفاجئ ، وهبَّ واقفًا على قدميه ، وتطلَّع إلى ارتفاع جدران الكهف ، وإلى الفجوة فى قمته ، ثم غمغم فى عزم :

ــ الوسيلة الوحيدة للخروج من هنا هى البحيرة ، أو فجوة السقف ، وأعتقد أنه ليس لى حق الاختيار .

وثبَّت خنجره فى عنق حذائه ، وانطلق يتسلَّق جدران الكهف فى حزم ..

★ ★ ★

جلس (سانشو) يدخن سيجاره فى هدوء وتلذُّذ ، ويستمع إلى (جولدمان) ، الذى أخذ يقول فى حماس :

ــ لقد حقَّقت ما عجز عنه الكثيرون يا (سانشو) .. لقد قتلت (أدهم صبرى) .

غمغم (سانشو) فى تفاخر :

ــ لم يكن ذلك أمرًا عسيرًا كما تظن يا سنيور (جولدمان) ، ثم إن أحدًا لم يهزم ذئاب الجبال قط .

ابتسم (جولدمان) فى ارتياح ، وقال :

ــ لقد جعلتنى أومن بذلك يا (سانشو) ، حتى أننى طالبت دولتى برفع المبلغ الذى تدفعه لك إلى مليون ونصف مليون فى الشهر الواحد .

تألَّقت عينا (سانشو) فى جذل ، وإن لوَّح بذراعه على نحو يوحي بأن الأمر لا يعنيه ، فى حين تحوَّلت لهجة (جولدمان) إلى الجدِّية ، وهو يسأله :

ــ ماذا ستفعل بالفتاة ؟

مطَّ (سانشو) شفتيه ، وقال :

ــ سأحصل على ثمنها .

عقد (جولدمان) حاجبيه ، وقال :

ــ ماذا تعنى ؟

أجابه (سانشو) فى هدوء :

ــ ستدفع السفارة المصرية ثمنًا كبيرًا لاستعادتها بالتأكيد يا سنيور (جولدمان) .

وعادت عيناه تبرقان فى شراسة وسخرية ، وهو يستطرد :

ــ ولن أقبل أقل من مليون دولار دفعة واحدة .

★ ★ ★

مجهودٌ شاقٌ ذلك الذى بذله (أدهم) ، حتى نجح فى الصعود إلى تلك الفجوة ، فى أعلى الكهف ..

كانت الصخور حادَّة مؤلمة ، وكان الارتفاع شاهقًا ..

ولكن إرادة (أدهم) كانت أحدّ من الصخور ، وأكثر ارتفاعًا من جدران الكهف ..

لقد هزم الجبل ، ولكن عضلاته كانت ترتجف ألمًا وإرهاقًا ، وهو يعبر الفجوة إلى الخارج ؛ حتى أنه لم يستطع

الوقوف على قدميه ، فألقى جسده على الأرض ، وأخذ يلهث فى قوة ، ويتطلّع إلى الشمس فى ارتياح ..

ومضت ساعة تقريبا ، وهو مستلق على الأرض الصخرية ، وضوء الشمس يغمره ، ويبعث فى جسده الدفء والراحة ، حتى أنه أغلق جفنيه فى تراخ ، واستجاب لصراخ جسده المتضرّع ، المتلهّف إلى الراحة ..

وبدأ النوم يتسلّل إلى جفنيه فى هدوء لذيذ ، واسترخت عضلاته التى أرهقها التعب ، وطالت يقظتها ، ولكن ..

انتزعه من استرخائه فجأة عواء قوىّ ، فقفز واقفًا على قدميه ، وتطلّع فى توتُّر إلى قطيع الذئاب ، الذى يحدّق فيه بعيون شرسة وحشية ..

وكشف فى هذه اللحظة إلى أين قادته الفجوة ..

لقد عادت به إلى وادى الهلاك ..

★ ★ ★

٣ ـ ملك الذئاب ..

لم يكن الموقف جديدًا بالنسبة لـ (أدهم) ، ولكنه كان رهيبًا ..

كان جسده يكاد يهوى من شدة إرهاقه ، وقطيع من الذئاب يواجهه فى تحفُّز واضح ، وهو لا يملك سوى خنجر واحد ، وتلك الصخرة التى احتمى فوقها فى المواجهة السابقة ، تقبع بعيدة ، على بعد مائتى متر تقريبًا ..

ولأول مرّة فى حياته شعر (أدهم) باليأس ، ولكنه لم يُبد يأسه هذا ..

كان عنيدًا صارمًا ، حتى أمام الذئاب ؛ لذا فقد نصب هامته ، وأطلّ الحزم من عينيه ، ومدّ يده فى هدوء ، يستل خنجره ، ويشهره فى وجه قطيع الذئاب كله ..

وكان النصر فى هذه المرّة مستحيلاً .. حتى بالنسبة لرجل المستحيل ..

وخيّل إليه أن الوقت يمضى ببطء ، وأن قطيع الذئاب يتفرّس فيه بإمعان ، دون أن يتحرّك أحدها ، وبات الموقف أشبه بلوحة صامتة ، ساكنة ، لا تتحرّك فيها حتى الرياح ..

ثم انفصل ذئب عن القطيع ..

ذئب ضخم ، تقدّم نحو (أدهم) فى هدوء ، حتى أصبح على قيد خطوات منه ، وتحفّزت عضلات (أدهم) للقتال ، واشتدت قبضته حول مقبض خنجره ، ولكن الذئب أحنى رأسه أمام (أدهم) ، وأطلق عواءً خافتًا ، مستسلمًا ، ثم ركع عند قدمى (أدهم) ..

وهنا تبيّن (أدهم) الموقف كله ..

لقد كان نفس الذئب ، الذى هزمه (أدهم) فى المرّة السابقة ، وها هو ذا يرفع لواء الطاعة والولاء ، ويؤكد زعامة (أدهم) ، الذى اتسعت عيناه فى دهشة ، حينما قلّدت باقى الذئاب قائدها ، وركعت بدورها ، ورقدت أمام (أدهم) ..

لقد انحنت مملكة الذئاب أمام واحد من البشر ..

أمام (أدهم صبرى) .. ملك الذئاب الجديد .

وأطلق (أدهم) زفرة قويّة ، قبل أن يهتف فى دهشة :

ـ يا إلهى !! .. إن ذاكرة هؤلاء الذئاب أقوى مما كنت أتصوّر ، إنهم مازالوا يذكرون هزيمتى لقائدهم ، ومازالوا يعتبروننى زعيمهم الجديد .

أعاد إليه الموقف المدهش العجيب نشاطه ، وثقته بالنصر ، فأعاد خنجره إلى غمده ، وربّت على رأس زعيم الذئاب فى هدوء ، وهو يقول :

ـ فلتبق لك زعامتك يا صديقى ، وسأكتفى بمنصب رئيس شرف .

ثم سار عبر قطيع الذئاب فى هدوء ، ولوّح بيده فى بساطة ، وهو يردف :

ـ إلى اللقاء أيتها الذئاب ، سأذكركم بالخير ، حينما أواجه ذئاب البشر .

وسرعان ما اختفى وسط الغابة الكثيفة ، على حافة وادى الهلاك ..

★ ★ ★

« أحد مواطنى (بيرو) يطلب مقابلتك شخصيًا يا سيادة السفير » .

رفع السفير المصرى عينيه إلى سكرتير مكتبه ، الذى نطق بالعبارة فى صوت قلق ، يشفّ عن أهمية الأمر ، فسأله فى اهتمام :

ـ وما الذى يقلقك فى هذا ؟ .. إنها ليست أول مرة يطلب فيها أحد المواطنين هنا مقابلتى .

غمغم السكرتير فى نبرات متوتّرة :

ـ إنه يدعى (سانشو) ، وهو ضخم ، أصلع ، ذو لحية كثّة .

اتسعت عينا السفير فى دهشة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ هل فتَّشه رجال الأمن ؟

أومأ السكرتير برأسه إيجابًا ، وغمغم :

ــ إنه لا يحمل أية أسلحة .

ظهر التفكير لحظة على وجه السفير ، ثم قال فى حزم :

ــ حسنًا .. أحضره إلى هنا ، واطلب من رجلَىْ أمن حضور الحديث بيننا .

أسرع السكرتير يلبىّ الأمر ، ولم تكد تمضى لحظات ، حتى عبر (سانشو) باب حجرة السفير ، وهو يبتسم فى سخرية .. وخلفه اثنان من رجال الأمن ، يصوّب كل منهما مسدّسه إليه ، وقال (سانشو) متهكّمًا ، وهو يبدو عجيبًا فى حلته الأنيقة :

ــ يبدو أن رجالك لا يثقون فى كونى مجرَّدًا من السلاح أيها السفير .

سأله السفير فى صرامة :

ــ ماذا تريد يا زعيم ذئاب الجبال ؟

رفع (سانشو) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وقال :

ــ إذن فأنت تعرفنى !! .. هذا أفضل ، حتى لا نضيع الوقت فى تعارف سخيف .

ثم جلس على المقعد المقابل لمكتب السفير ، دون أن يدعوه أحد للجلوس ، والتقط فى وقاحة سيجارًا ، من العلبة الصدفية الموضوعة فوق المكتب ، وأشعله فى برود ، وهو يستطرد :

ــ لقد وصلتنا رسالتكم ، على هيئة ضابط مخابرات مصرى وزميله ، ولقد أتيت لأعبّر لكم عن شكرنا وامتناننا .

امتلأت نفس السفير بالقلق والتوتُّر ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ أين (أدهم) و (منى) ؟

ابتسم (سانشو) فى سخرية ، ونفث دخان سيجاره ، وهو يقول فى برود :

ــ تُرى كم تساوى حياتهما لدى الحكومة المصرية أيها السفير ؟

عاد السفير يسأله فى غضب :

ــ أين هما ؟

هزَّ (سانشو) كتفيه فى استهتار ، وقال :

ــ تُرى أتملكون مليون دولار نقدًا هنا فى السفارة ؟ أم أننى سأضطر إلى صرف أحد شيكاتكم من بنك (بيرو) ؟

كان هذا بمثابة إعلان صريح عن الهدف من زيارة (سانشو) ، فتراجع السفير فى دهشة ، كمن تلقىَّ صدمة قوية ، وشحُب وجهه ، وهو يغمغم :

ــ هل تعلم أننى أستطيع احتجازك هنا بالقوة ، ومقايضة حياتك القذرة بحياتهما ؟

هزَّ (سانشو) كتفيه فى استهتار ، وقال :

ــ إنك لن تفعل أيها السفير ، فحياتى لن تساوى حياتهما لديك .

ثم نهض فى هدوء ، وقال :

ــ مليون دولار نقدًا قبل مساء الغد ، وإلَّا فستتناول أسماك القرش وجبة مصرية شهية .

وانصرف بسرعة ، وهو يهنئ نفسه على ذكائه ، حينما لم يخبر السفير عن مصرع (أدهم صبرى) .. كما كان يتصوَّر .

★ ★ ★

نفث أحد ذئاب الجبال دُخان سيجارته فى وجه القمر ، الذى بدأ يبرز من خلف الجبال ، مع قدوم المساء ، والتفت إلى زميله ، قائلاً :

ــ لقد أثبت (سانشو) ذكاءه وقوته هذه المرَّة يا (ريجز) ، لقد أجبر ذلك الشيطان المصرى على الاستسلام ، وألقاه فى بئر القرش .

ابتسم (ريجز) ، وقال وهو يشعل سيجارته بدوره :

ــ ولكن أبرع ما فعله كان ذهابه إلى السفارة المصرية بنفسه هذا الصباح ، وهو يؤكد أنهم سيدفعون مليونًا من الدولارات ، فى مقابل حياة رجل ميت يا (ديجو) .

أطلق (ديجو) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ أعتقد أنه ينبغى أن تحصل أسماك القرش على نصيبها من المليون دولار .

توقَّفت ضحكته الساخرة فى حلقه ، وجفَّ لعابه فجأة ، حينما أتى من خلفه صوت ساخر ، يقول :

ــ اطمئن أيها الوغد ، ستحصل أسماك القرش على نصيب أوفر ، من أجسادكم .

قفز (ديجو) و (ريجز) فى ذعر ، وأسرعا إلى مدفعيهما الرشاشين ، ولكن الأول شعر بقنبلة تنفجر فى وجهه ، وبأسنانه تتطاير ، وترتطم بحلقه ، ليبتلع ثلاثًا منها على الرغم منه ، فى حين انقضَّت صاعقة على معدة الثانى ، فجحظت عيناه فى ألم وذعر ، وكاد يصرخ متألمًا ، ولكن مطرقة فولاذية ، تحمل شكل قبضة بشرية ، هوت على فكه ، فهشَّمته فى صوت مسموع ، وسقط إلى جوار زميله مجندلاً ..

أسرع (أدهم) يسحب الرجلين إلى ما خلف أحد

الأشجار ، ثم جردهما من مسدسيهما ، وتأكَّد من امتلائهما بالذخيرة ، ودسَّهما في حزامه ، ثم التقط مدفعيهما الرشاشين ، فثبّت أحدهما في كتفه ، وأمسك الآخر في قوَّة ، وهو يغمغم في عزيمة :

ـــ لقد عاد (أدهم صبرى) يا أوغاد الجبال .

★ ★ ★



٤ ـــ واشتعلت الجبال ..

اقترب (سانشو) من (منى) ، المقيَّدة في ركن حجرته ، وانحنى نحوها ، قائلاً في سخرية :

ـــ لقد خسرتم هذه المهمة تمامًا يا فتاتى ، لقد قتلت زميلك ، وستدفع دولتك مليونًا من الدولارات في مقابل حياته وحياتك ، أرأيت ما هو أكثر طرافة من ذلك ؟

امتلأت عينا (منى) بالدموع ، وهى تهتف في حَنَق :

ـــ إننى أتمنى رؤية (أدهم) وهو يحطِّم فمك المقيت هذا .

أطلق (سانشو) ضحكة ساخرة ، والتفت إلى (جولدمان) ، الذى يجلس هادئًا في الركن الآخر من الحجرة ، وقال :

ـــ يبدو أن هؤلاء المصريِّين يؤمنون بالبعث حقًّا يا سنيور (جولدمان) ، إن هذه الفتاة تتصوَّر أن زميلها الشيطان سيعود من العالم الآخر ليحطِّم فكِّى .

ابتسم (جولدمان) في سخرية ، وقال :

ـــ ستكون هذه هى أول مرَّة يعود فيها شيطان من الجحيم و ..

وارتجف جسده كريشة في مهب الريح ، حينما ارتفع صوت (أدهم) الساخر يقول :

ـــ سجِّل التاريخ إذن أيها الوغد ، فها هى ذى المرَّة الأولى تحدث في وجودك .

★ ★ ★

كان وقع ظهور (أدهم) قويًّا ، عجيبًا ، متباينًا ؛ فقد شحب وجه (جولدمان) كالموتى ، وغاص في مقعده ، وهو يرتجف كحشرة مبتلة في جو شديد البرودة ، وتراجع (سانشو) مصعوقًا ، وجحظت عيناه ، وهو يحدِّق في (أدهم) ، الذى أغلق باب حجرة (سانشو) خلفه ، ووقف يبتسم في سخرية ، مرتديًا حلَّة الصاعقة ، ومصوِّبًا مدفعه الرشاش إلى هذا الأخير ..

أمَّا (منى) فقد خفق قلبها في قوَّة ، وتراقص بين جنبيها ، وتفجَّرت دموع الفرح من عينيها ، واختنق صوتها ، قبل أن تهتف في سعادة لم تشعر بمثلها من قبل :

ـــ (أدهم) .. أنت ؟ . أنت حىّ ؟!

أجابها (أدهم) في هدوء :

ـــ يبدو أن أسماك القرش لم تستسغ طعمى يا عزيزتى .

وهنا هتف (سانشو) في ذهول :

ـــ هذا مستحيل !! لا أحد يعود من بئر الموت .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وهو يقول في سخرية :

ـــ إذن فأنا أحمل اسم (لا أحد) أيها الوغد .

حدَّق (سانشو) في وجهه بذهول ، في حين استطرد (أدهم) في صرامة :

ـــ والآن حلّ قيود زميلتى في هدوء ، وحذار أن ترتكب حركة واحدة مريبة ، وإلّا أطلقت رصاصات مدفعى الرشاش في جسدك الضخم .

تردَّد (سانشو) لحظة ، ثم سأله في حَنَق :

ـــ كيف نجحت في الوصول إلى هنا ؟

مطَّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

ـــ لقد اضطررت للتخلص من ستة من ذئابك ، وأنا أشق طريقى إليك أيها الوغد ، ولقد عاوننى استرخاؤهم ، وهم يظنون أنهم قد تخلَّصوا منى تمامًا .

ظهر الغضب على وجه (سانشو) ، في حين انتزع (جولدمان) نفسه من شحوبه ، وذهوله ، ورعبه ، وهو يقول في ضراعة :

ـــ لا تقتلنى يا سنيور (أدهم) ، أرجوك ، سأدفع لك نصف مليون دولار ، في مقابل ..

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

ــ صه أيها الوغد ..

وفجأة قفز (سانشو) نحو (أدهم) ، وهو يصرخ فى غضب :

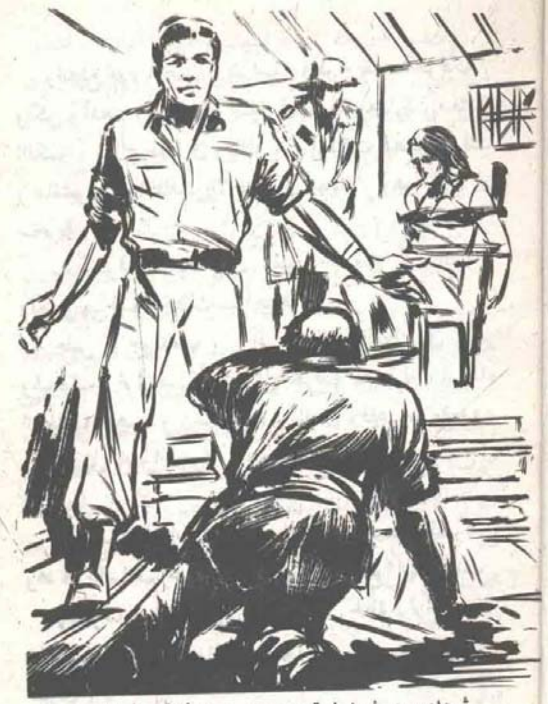
ــ إنك لن تهزمنى أيها الشيطان ، حتى وإن عدت من أعماق الجحيم .

* * *

كان حجم (سانشو) يفوق حجم (أدهم) كثيرًا ، ولكن (أدهم) كان يفوقه مرونةً ، وقوّة ، وكان يمكنه أن يمطره برصاصات مدفعه الرشاش ، ولكنه ، ولسبب ما فى أعماقه ، كان يريده حيًّا ؛ لذا فقد ألقى مدفعه الرشاش ، وتلقّى (سانشو) بلكمة ساحقة فى فكه ، أعقبها بأخرى كالقنبلة فى معدته ، ثم ثالثة كالصاعقة فى أنفه ..

وترنّح (سانشو) ، وسقط أرضًا ، ثم عاد ينهض فى شراسة ، وهو يمسح خيط الدم السائل من أنفه المحطّم ، وهو يقول :

ــ إذن فأنت تميل إلى القتال اليدوىّ ، حسنًا أيها الشيطان ، أنا أيضًا أهوى هذا النوع من القتال .



ثم عاد ينهض فى شراسة ، وهو يمسح خيط الدم السائل من أنفه المحطّم ..

واندفع نحو (أدهم) فى شراسة ، وطوّح بقبضته نحو فكه ، ولكن (أدهم) غاص إلى أسفل فى سرعة ومهارة ، متفاديًا اللكمة ، ومال جانبًا فى رشاقة ، ثم انطلقت قبضته فى فك (سانشو) ، وانطلقت الأخرى فى معدته ، وهو يقول فى سخرية :

ــ أعترف أنك تهوى القتال اليدوىّ أيها الثور ، ولكننى ــ لسوء حظك ــ أحترفه .

جلس (جولدمان) يراقب ذلك القتال فى ذعر وشحوب ، ثم لم يلبث أن تنبّه إلى الفرصة المتاحة له ، فى أثناء انشغال (أدهم) و (سانشو) فى القتال ، فقفز من مقعده ، وانطلق إلى باب الحجرة ، ومنه إلى الخارج ، وهو يصرخ فى انفعال :

ــ هلموا يا ذئاب الجبال .. لقد عاد الشيطان المصرىّ ، وها هو ذا يهاجم زعيمكم (سانشو) .. هلموا أيها الذئاب .

وفجّرت صيحاته ذهول ذئاب الجبال لحظة ، ثم التقط كل منهم مدفعه الرشاش ، وانطلقوا لنجدة زعيمهم ، وقتل (أدهم صبرى) .

* * *

وصلت صيحة (جولدمان) إلى آذان (أدهم) و (منى) ، و (سانشو) ، فهتف الأخير فى وحشية ، وهو يتحفّز للانقضاض على (أدهم) مرّة أخرى :

ــ لقد خسرت هذه المرّة أيضًا أيها الشيطان .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ كلّا أيها الوغد ، فالأمر يختلف هذه المرّة .

ثم قفز قفزة قويّة رشيقة ، وركل أنف (سانشو) بقدمه اليسرى ، ودار جسده فى الهواء ، ليركل فكه بقدمه اليمنى ، قبل أن تستقر قدماه على الأرض ، وتغوص قبضته اليمنى فى معدة (سانشو) وتنطلق قبضته اليسرى فى صدره ، وما أن انحنى (سانشو) من فرط الألم ، حتى ضمّ (أدهم) قبضته ، وهوى على مؤخرة عنقه بضربة صاعقة ، أطلق بعدها (سانشو) خوارًا كالثور ، وسقط تحت قدمى (أدهم) جثة هامدة ، وهنا قفز (أدهم) نحو (منى) ، ومزّق قيودها بضربة سريعة محكمة من خنجره ، وهو يقول :

ــ هيّا يا (مُنى) ، سأحتاج إلى تعاونك .

أسرعت (منى) تلتقط مدفعًا رشاشًا ، وهى تسأله فى توتّر :

— هل قتلته ؟

دفع الباب بقدمه ، ثم أغلقه فى إحكام ، وهو يقول :

— إنه يستحق ذلك ، ولكننى لم أفعل ، فأنا أريده حيًا .. إنه فاقد الوعى فحسب .

ولم يكد يتم عبارته حتى انهالت رصاصات المدافع الرشاشة على الكوخ ، واشتعل القتال الشرس فى أعماق (الإنديز) .

•

* * *

٥ — الفِدْية ..

على بعد آلاف الأميال من جبال (الإنديز) ، وفى إدارة المخابرات العامة المصرية ، كان القلق والتوتُّر يسيطران على المكان ، حيث تمَّ عقد اجتماع مصغرٌ ضمَّ مدير المخابرات العامة ، ونائبه ، و (قدرى) ، خبير التزوير فى الإدارة ، لبحث أمر التهديد الذى ألقاه (سانشو) ، والذى أبرق به السفير المصرى توًا ، إلى مقر المخابرات المصرية فى القاهرة ، وكان مدير المخابرات يقول :

— المبلغ نفسه لا يقلقنا ، فـ (أدهم) يستحق ما هو أكثر من مليون دولار ، ولكن من يضمن لنا أن نستعيد (أدهم) و (منى) ، بعد دفع الفدية ؟

أجابه (قدرى) فى قلق واضح :

— يمكننا أن نطالب بتأكيد وجود (أدهم) و (منى) على قيد الحياة ، قبل أن ندفع دولارًا واحدًا يا سيِّدى .

وهنا هتف نائب مدير المخابرات :

— أعتقد أن لدىَّ فكرة مناسبة .

التفت إليه المدير و (قدرى) فى اهتمام ، فاستطرد فى انفعال :

— من الطبيعى أن يرفض (سانشو) هذا إحضار (أدهم) و (منى) إلى مكان نختاره ، ولكننى لا أظنه سيعترض ، إذا ما طلبنا منه اصطحاب أحد رجالنا إلى حيث يضع (أدهم) و (منى) ، للتأكد من وجودهما على قيد الحياة ، قبل دفع المبلغ .

عقد المدير حاجبيه ، وقال :

— يمكنه أن يقتل (أدهم) ، بعد انصراف رجلنا .

ساد الصمت مرَّة أخرى ، ثم غمغم (قدرى) :

— أعتقد أنه ليس أمامنا يا سيادة المدير سوى دفع الفدية ، وانتظار النتائج فى استسلام .

ثم أردف فى ضيق :

— هذا إذا كنا نريد (أدهم) و (منى) حقًا .

* * *

انهالت رصاصات ذئاب الجبال على كوخ (سانشو) كالمطر ، وغمغم (أدهم) وهو يجذب صمام مدفعه الرشاش :

— من حسن حظنا أن (سانشو) قد حصن كوخه الخشبى فى إحكام ، اتقاءً لأى هجوم خاطف ، فسمك أخشاب الكوخ لن تسمح بمرور الرصاصات ، إلَّا إذا أصابت عدة رصاصات الثقب نفسه .

تمتمت (منى) فى توتُّر :

— هذا مستحيل .

ثم أردفت :

— ولكن بقاءنا هنا إلى الأبد مستحيل أيضًا ، فلن يسمح لنا هؤلاء الأوغاد بمغادرة المكان أحياء .

التفت (أدهم) إلى (سانشو) ، الفاقد الوعى وسط كوخه ، وقال :

— ربما لو هدَّدناهم بقتل زعيمهم ..

قاطعته (منى) فى توتُّر :

— لن يضحّوا بأنفسهم من أجل أى كائن كان ، حتى (سانشو) هذا .. لقد عايشتهم طويلاً يا (أدهم) ، وأجزم أنهم أكثر شراسةً من الذئاب الحقيقية ، ولن تجد بينهم شهمًا واحدًا ، يضحِّى بنفسه من أجل هذا الوغد .

عقد (أدهم) حاجبيه فى تفكير عميق ، وهو يغمغم ، وكأنه يحادث نفسه :

— لابد من وسيلة للخروج من هنا .

اختلست (منى) النظر إلى الخارج ، عبر فجوة صغيرة فى جدار الكوخ ، ثم هتفت فى ذعر :

ــ يبدو أنهم قرّروا نسفنا يا (أدهم) ، إنهم يحضرون مجموعة من القنابل اليدوية .

أسرع إليها (أدهم) ، وتطلّع عبر الفجوة لحظة ، ثم غمغم :

ــ نعم .. إنهم يحملون القنابل اليدوية ، وهذا سلاح ذو حدّين .

سألته (منى) فى قلق :

ــ ماذا تعنى ؟

أجابها فى هدوء :

ــ أعنى أن تأثير القنابل اليدوية يعتمد على المنطقة ، التى تنفجر فيها يا (منى) .

ثم حطّم نافذة الكوخ الخشبية الصغيرة بكعب حذائه ، وأطلق رصاصات مدفعه الرشاش نحو ذئاب الجبال .

* * *

لم تكن رصاصات (أدهم) مجرد طلقات منفردة ، لقد حوّلتها مهارته ، وعقليته المنظّمة إلى قنابل متفجّرة ، فهو لم يطلق رصاصة واحدة نحو ذئاب الجبال ، بل أصابت رصاصاته القنابل اليدوية التى يحملونها ..

وانفجرت القنابل ، وقفزت أجساد الذئاب فى الهواء ،

وتحوّل المكان فى لحظة إلى ساحة قتال مشتعلة ، وصرخ أحد الذئاب فى ذعر :

ــ أبعدوا القنابل ، أو ألقوها على الكوخ ، فهذا الذئب يستغلها لصالحه .

وانطلقت القنابل الباقية نحو الكوخ ، وانفجرت حوله فى قوة ، وسقط جداره الأيسر ، فصرخت (منى) :

ــ لقد فقدنا أحد سواترنا يا (أدهم) .

ولكن الجزء الثانى من عبارتها اختفى مع صوت رصاصات (أدهم) ، حينما قفز إلى الجانب المكشوف من الكوخ ، وأخذ يطلق رصاصاته فى إصرار ، وقوة ، ومهارة ..

كانا رجلاً وفتاة أمام جيش من الذئاب ، وكان الموقف لا يوحى أبدًا بالنصر ..

واستعاد (سانشو) وعيه وسط المعمعة ، وتطلّع بعينين زائغتين إلى (أدهم) و (منى) ، اللذين انهمكا فى إطلاق النار على رجاله ، دفاعًا عن حياتهما ، فمسح الدم الذى يلوّث أنفه وفمه بكمه ، وغمغم فى شراسة وخفوت :

ــ من الخطإ أن تولى عدوّك ظهرك فى أثناء القتال ، أيها الشيطان المصرى .

ثم انقضّ على (أدهم) ، وطوّق عنقه بذراعه من الخلف ، وهو يهتف فى وحشية :

ــ إلىّ يا رجال ، لقد أمسكت الشيطان .. إلىّ يا رجال .

* * *

كان هجوم (سانشو) مباغتًا ، عنيفًا ، ولكن (أدهم) أدار ذراعه حول جسده فى سرعة ، وقبض على ياقة قميص (سانشو) ، وانحنى إلى الأمام ، ليلقى هذا الأخير عن ظهره ، ثم ركل وجهه فى قوّة ، ودفعه بعيدًا عنه ، وقفز ليواصل إطلاق النار على رجاله ، ولكنه فوجئ بفوهات المدافع الرشاشة فى وجهه ، ورأى (منى) مجرّدة من مدفعها الرشاش ، ترفع ذراعيها فى استسلام ، وسمعها تغمغم بصوت آسف ، وبعينين دامعتين :

ــ لقد فاجأنى هجومه ، وحينما التفت إلى صراعكما ، باغتنى هؤلاء الذئاب ، وجردونى من سلاحى .

شعر (أدهم) بالحنق لحظة ، ولكنه لم يلبث أن استعاد هدوءه ، وهو يقول :

ــ لا بأس يا عزيزتى ، هذا هو القدر .. قدرُنا .

نهض (سانشو) والغضب يتقافز من عينيه وملامحه ، وعاد يمسح دماء جراحه بكمه ، وهو يقول فى ثورة :

ــ سأمزقكما إربًا .. ستدفع ثمن تلك الدماء أيها الشيطان المصرى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ اذهب إلى الجحيم أيها الوغد .

صاح (سانشو) فى غضب هائل :

ــ ستدفع الثمن ، ستدفع الثمن .

ثم أشار إلى رجاله صائحًا :

ــ أعدّوا الحفل يا رجال ، سنشعل النيران فيها الليلة ، وسنأكل الذئاب لحمًا مشويًا لاثنين من المصريّين .

* * *



٦ — الوليمة ..

أعاد السفير المصرى فى (ليما) قراءة البرقية ، الواردة إليه من القاهرة ، للمرة الثالثة ، ثم تنهّد ، وقال لسكرتيره :

— البرقية صريحة .. لقد وافقوا على دفع الفدية كاملة ، ودون قيد أو شرط .

عقد السكرتير حاجبيه ، وقال :

— هل سندفع مليون دولار لذلك الوغد (سانشو) ؟ !

مطّ السفير شفتيه ، وقال :

— نعم .. عدًّا ونقدًا .

غمغم السكرتير فى سخط :

— أهذا ما فعلته مخابراتنا مع ذئاب الجبال ؟

هتف السفير فى صرامة :

— لقد فعل (أدهم صبرى) ما لا يجرؤ على فعله رجل آخر ، وهو يستحق عشرة ملايين ، لا مليونًا واحدًا .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يردف فى قلق :

— ولكن معرفتى القصيرة بهذا الرجل ، تجعلنى أدعو الله (سبحانه وتعالى) أن أجده حيًّا ، حينما يتسلَّم (سانشو) الفدية .

* * *

ظلَّ (أدهم) هادئًا ، وذئاب الجبال يقيِّدونه إلى عمود خشبى قوىّ ، فى حين ارتجفت (منى) ، وهم يقيِّدونها فى عمود خشبىّ مجاور ، وإن بذلت جهدًا خارقًا للحفاظ على هدوئها الظاهرىّ ، ولكن رجفة قويّة سَرَت فى جسدها ، وامتلأ قلبها بخوف شديد ، حينما بدأ الذئاب يحيطون قاعدة العمودين بالحطب الجاف ، فغمغمت فى صوت مرتعد :

— لم أتصوَّر أبدًا أن نهايتنا ستكون على هذا النحو البشع .

أجابها (أدهم) فى حنان :

— تعدَّدت الأسباب والموت واحد يا عزيزتى .

ترقرقت عيناها بالدمع ، وهى تتمتم :

— ولكن الموت حرقًا أمر بالغ البشاعة يا (أدهم) .

شعر (أدهم) فى تلك اللحظة أنه يكره ذئاب الجبال كراهيةً شديدة ..

لم يكن الموت يخيفه ، مهما كانت وسيلته ، ولكنه كان يشفق على (منى) ، من آلام تلك الميتة الرهيبة ، وتضاعفت رغبته فى الخلاص ، وحاول الوصول إلى عقدة الحبل الذى يقيِّده بأطراف أصابعه ، فى حين استطردت (منى) فى صوت باكٍ :

— عزائى الوحيد أننا سنموت معًا يا (أدهم) .. لقد تمنّيت ذلك طيلة عمرى .

أطلق (جولدمان) ، الذى اقترب منهما ، ضحكة ساخرة ، وقال :

— يا له من حوار شاعرى ، فى اللحظات الأخيرة !!

حدجه (أدهم) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

— كم يسعدنى أن أقطع عنقك أيها الوغد .

عاد (جولدمان) يطلق ضحكته الساخرة ، ويقول :

— افعل ذلك حينما نلتقى فى الجحيم ، أيُّها الشيطان المصرى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— مَنْ يَدرِى ؟ .. ربما التقينا قبل ذلك أيها الوغد .

اقترب (سانشو) منهما ، وقال فى حِدَّة :

— ماذا يقول هذا الشيطان يا سنيور (جولدمان) ؟

أخبره (جولدمان) عن حديثهما ، فابتسم (سانشو) فى سخرية ، وقال :

— إن جحيمك أقرب مما تتصوَّر أيها الشيطان المصرى ، سنشعل النار فى أكوام الحطب هذه ، وستشوى النار

جسديكما فى لحظات ، وسنلقى بهما إلى ذئاب وادى الهلاك ، حتى تظل ذكراك هناك إلى الأبد .

عقد (أدهم) حاجبيه لحظة ، ثم ابتسم فى سخرية ، وقال :

— ذئاب وادى الهلاك أكثر رأفة منكم أيها الجرذ .

تألَّقت عينا (سانشو) فى وحشية ، وهو يقول فى شماتة :

— بلا شك أيها الشيطان ، فهى تخشى العبور إلى وكرنا ، مهما عضّها الجوع .

ثم مال نحو (أدهم) ، وسأله فى سخرية :

— هل هناك ما تريد قوله قبل أن أشعل فيك النيران أيها الشيطان ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

— نعم أيها الجربوع .

ضغط (سانشو) أسنانه فى غضب ، وقال :

— ماذا تريد أن تقول ؟

ثم اتسعت عيناه فى دهشة ، وانتقلت دهشته إلى الجميع ، حينما رفع (أدهم) رأسه إلى أعلى ، وأطلق عواءً قويًّا ، كما تفعل الذئاب .

* * *

مرّت لحظة من الصمت والذهول ، والجميع يحدّقون فى وجه (أدهم) ، الذى أطلق عواءه مرّة أخرى ، ثم أدار عينيه فى وجوههم بسخرية ، فهتف (جولدمان) :

ــ لقد جُنّ .. أراهن أنه فقد عقله ، لاريب أن فكرة الموت حرقًا قد أطارت صوابه .

ظلّ (سانشو) يحدّق فى وجه (أدهم) لحظة ، ثم عقد حاجبيه ، ومطّ شفتيه ، وهو يغمغم :

ــ ينبغى ألا ندعه ينتظر طويلاً .

وتحرّك فى هدوء نحو بعض الأغصان المشتعلة بالنيران ، والتقط أحدها ، فى نفس اللحظة التى سألت فيها (منى) (أدهم) فى دهشة :

ــ لِمَ فعلت ذلك يا (أدهم) ؟

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ــ إنه نداء الموت يا عزيزتى .

هتفت فى دهشة :

ــ نداء الموت ؟! .. ماذا أصابك يا (أدهم) ؟

اقترب منهما (سانشو) فى هذه اللحظة ، وهو يحمل الغصن المشتعل ، وقال وهو يلوّح به فى وجه (أدهم) :



واقترب منهما (سانشو) فى هذه اللحظة ، وهو يحمل الغصن المشتعل ..

ــ وداعًا أيها الشيطان المصرى ، سأصنع منك شيطانًا حقيقيًا ، حينما أشعل الجحيم فى ساقيك .

وفجأة تردّد فى المكان صوت عواء قوىّ ، ولكن (أدهم) لم يكن صاحبه هذه المرّة ، بل كان مصدره نقطة ما وسط أشجار الغابة الكثيفة ، التى تحيط بوكر ذئاب الجبال ، وجاوبه (أدهم) بعواء مماثل ، أثار دهشة الجميع ، فهتف (سانشو) فى غضب :

ــ ماذا يحدث هنا بحق الشيطان ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى تردّدت عشرات الزمجرات الحيوانية من أعماق الغابة ، وابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ لقد حانت لحظة اختبار قوّتكم يا ذئاب الجبال .

وإثر صيحة قوية من حلق (أدهم) ، انطلقت عشرات من الذئاب الحقيقية من وسط الغابة ، وانقضّت على ذئاب الجبال .

كانت معركة مرعبة ، بين الحيوان والإنسان .

* * *

٧ ــ أنياب الذئاب ..

أثار انقضاض الذئاب الحيوانية ذعرًا هائلاً وسط ذئاب الجبال ، وانغرست أنياب الذئاب فى عشرات الأعناق ، وسالت الدماء أنهارًا ، ونجح بعض رجال (سانشو) فى التقاط مدافعهم الرشاشة ، وأخذوا يطلقون رصاصاتها على الذئاب فى رعب ..

ووسط كل هذه المعمعة ، صرخ (سانشو) فى وجه (أدهم) :

ــ أنت الذى فعل هذا .. لست أدرى كيف بحق الشيطان ، ولكنك فعلته ، وسأشعل النيران فى جسدك ، ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى و..

وفجأة تحرّر (أدهم) من قيوده ، بعد أن نجح فى حل وثاقه ببراعة يحسده عليها (هودينى) نفسه(*) ، وهوت قبضته على فك (سانشو) كالقنبلة ، وألقت به على بعد ثلاثة أمتار إلى الخلف ، وهو فى ذهول شديد ، ولم يكد ينهض حتى انقضّت قبضة (أدهم) على فكّه مرّة أخرى ، وثالثة ، ورابعة ، فسقط

(*) (هودينى) : ساحر شهير ، اشتهر بقدرته على التخلص من أصعب القيود ، فى النصف الأول من القرن العشرين .

زعيم ذئاب الجبال فاقد الوعى ، دون أن يشعر به أى من رجاله ، وسط معركتهم مع أنياب الذئاب .

لم يشعر به سوى (جولدمان) ، الذى جحظت عيناه ذُعرًا ، وهتف فى ذهول :

ـ هذا مستحيل !!

ثم التقط غصنًا مشتعلاً ، وجرى به نحو (منى) ، المقيَّدة فى العمود الخشبى ، وهو يهتف فى جنون :

ـ ستشتعل النيران .. ستشتعل .

وأطلقت (منى) صرخة مدوِّية ، وقد بدا لها الموت حرقًا على قيد خطوة واحدة منها .

* * *

وسط صرخات الرجال ، وزمجرة الذئاب ، وطلقات المدافع الرشاشة ، لم يسمع (أدهم) سوى صرخة (منى) ، فالتفت إليها فى حِدَّة ، ورأى (جولدمان) يسرع نحوها ، والغصن المشتعل فى يده ..

وفى حركة سريعة للغاية ، التقط (أدهم) الخنجر المثبَّت فى عنق حذاء (سانشو) ، وألقى به فى إحكام وبراعة ، فى نفس اللحظة التى انحنى فيها (جولدمان) ، ليشعل الحطب الجاف عند قاعدة العمود الخشبى ، الذى قيِّدت إليه (منى) .

وشقَّ الخنجر الهواء فى قوَّة ، ثم اخترق عنق (جولدمان) من الجانب الأيمن ، وبرز نصله من جانب عنقه الأيسر ، وجحظت عينا (جولدمان) ، وترنحَّ فى ذهول وألم ، ثم سقط جثة هامدة ، وسقط الغصن المشتعل فوقه ، فاشتعلت ثيابه ، وتحوَّل فى لحظات إلى شعلة من النيران ..

وقفز (أدهم) إلى (منى) ، وحلَّ وثاقها بسرعة ، وهو يقول :

ـ هيَّا بنا يا عزيزتى ، لقد تأجَّلت وليمة الليلة .

تعلَّقت بذراعه ، وهى تهتف فى سعادة :

ـ لقد كنت رائعًا .. لم أكن أعلم أنك تجيد لغة الذئاب أيضًا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يجذبها قائلاً :

ـ هيَّا يا عزيزتى .. سنبتعد عن هنا ، قبل أن تنتهى المعركة .

أسرعا نحو الغابة الخلفية ، ثم توقَّف (أدهم) ، وقال فى حزم :

ـ لحظة يا عزيزتى .. هناك أمر لابدَّ أن أفعله أولاً .

واتسعت عيناها دهشةً ، حينما عرفت هذا الأمر .

* * *

استغرقت المعركة بين ذئاب (سانشو) ، وذئاب مملكة الحيوان وقتًا قصيرًا ، أيقنت الذئاب خلاله من صعوبة مواجهة الأسلحة النارية ، فأطلق زعيمها عواء قويًا ، وانطلق عائدًا إلى الغابة ، وتبعه باق القطيع ، الذى لم يلبث أن اختفى وسط الأغصان المتشابكة ، وإن ظل رجال (سانشو) يطلقون مدافعهم الرشاشة لحظات ، قبل أن ترتفع أصابعهم عن أزندتها ، ويسود الصمت التام فى وكر الذئاب ..

كان المكان يبدو مخيفا ، وهو يمتلئ بعشرات من جثث الذئاب ، والرجال ، وتسيل فيه الدماء أنهارًا ، حتى أن البقية من رجال (سانشو) ارتجفوا فى توتُّر وخوف ، وهم يتطلَّعون إلى بحيرة الدماء ، التى تخوض فيها أقدامهم ، قبل أن يهتف أحدهم فى حنق :

ـ كيف فعل ذلك الشيطان هذا ؟

زفر آخر فى حنق ، وقال :

ـ إننى لم أر مثل ذلك فى حياتى كلها .. لقد بدا الأمر أشبه بالروايات الخيالية .

وفجأة هتف ثالث :

ـ يا للشيطان !! .. لقد فرَّ المصرىّ وزميلته .

عادت فوَّهات المدافع الرشاشة ترتفع ، وانطلقت ذئاب الجبال تبحث عن (أدهم) و (منى) فى شراسة ، حتى أعياهم البحث ، فهتف أحدهم فى سخط :

ـ هل سنتركهما يفرَّان ؟

وهنا عقد آخر حاجبيه ، وقال فى قلق :

ـ أين (سانشو) ؟

نبَّهت عبارته الجميع إلى اختفاء زعيمهم ، فانطلقوا يبحثون عنه فى كل صوب ، ثم لم يلبثوا أن اجتمعوا فى منتصف الوكر ، وقال أحدهم فى توتُّر ، وهو يوجِّه حديثه إلى شاب منهم ، مفتول العضلات ، مجعَّد الشعر ، له شارب كث :

ـ لا أثر لـ (سانشو) فى أى مكان يا (جارسيا) .. لقد بحثت بين الجثث وفى كل مكان ، ولم أعثر على أدنى أثر له .

عقد (جارسيا) حاجبيه ، وقال :

ـ لا يوجد سوى تفسير واحد يا رجال .

تطلَّع إليه الجميع فى مزيج من القلق والتساؤل ، فأردف فى لهجة حاسمة :

ـ لقد اصطحبه الشيطان المصرىّ معه .. بالقوَّة .

سرت همهمة غاضبة بين الصفوف ، فاستطرد (جارسيا) فى حماس :

ــ ولكننا سنستعيد زعيمنا يا رجال .. سنستعيده مهما كان الثمن .

* * *

استعاد (سانشو) وعيه فى بطء ، وشعر بالقيود المحكمة ، التى تقيد معصميه فى قوّة ، وتناهى إلى سمعه صوت (منى) ، وهى تقول لـ (أدهم) فى حَنَق :

ــ مازلت لا أفهم لماذا نصطحب ذلك الخنزير معنا ، ونحن نسعى للهرب .. إنه سيعوق طريقنا ، ويجعل رحلتنا أكثر خطورة .

أجابها (أدهم) فى هدوء :

ــ هذا الخنزير أخطر الذئاب يا (منى) ، وأكثرها ذكاءً ووحشية ، ووجوده معنا ، وأمام عيوننا ، يجعلنا فى وضع أكثر أمنًا ، من أن يسعى رجاله خلفنا تحت قيادته .

هزّت (منى) كتفيها ، وقالت :

ــ مازلت أصرّ على خطإ اصطحابه .

فتح (سانشو) عينيه ، وقال فى برود :

ــ استمع إليها أيها الشيطان ، فهى على حق .

عقدت (منى) حاجبيها ، وهى تلتفت إليه فى حَنَق ، فى حين تطلّع إليه (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ هلّا أطبقت شفتيك حِفاظًا على أسنانك أيها الوغد .

عربد الغضب على وجه (سانشو) ، وقال فى حِدّة :

ــ أنت مغرور عنيد أيها الشيطان ، وجودى معك سيدفع رجالى كلهم لمطاردتك فى شراسة ، وسيكون على رأسهم تلميذى (جارسيا) ، الذى سيضيّق الخناق حولك ، حتى يقتلك ، أو تستسلم له .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

ــ هل سيخاطر بقتل أستاذه ، وزعيمه ؟

عقد (سانشو) حاجبيه ، وهو يقول فى شراسة :

ــ إنه لن يتردّد فى قتلى ، إذا ما كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة لهزيمتك ، ولقد لقّنته أنا هذا الدرس ، وهو تلميذ نجيب .

صمت (أدهم) لحظة ، تبادل فيها نظرات التحدّى مع (سانشو) ، ثم قال :

ــ ستكون هناك وسيلة للفرار ، دون مواجهة رجالك ، ولاشك .

هتف (سانشو) فى سخرية :

ــ هذا مستحيل أيها الشيطان ، فلا يوجد دخول أو خروج من وكرنا ــ سوى طريقين . إما عبر وادى الهلاك ، أو (الطريق إلى الجحيم) ، ولن يمكنك اقتحام الأول ؛ لأن موقعنا هذا يجعل رجالى يحولون بينك وبينه ، ثم إنك لن تنجح فى عبور فوّهة الموت ، وأنا أسيرك ، أما (الطريق إلى الجحيم) ، فهو ممر ضيق بين جبلين ، زُرِعَتْ أرضه بالألغام ، ويقوم على حراسته عشرة من رجالى بمدافعهم الرشاشة ، ولن يمكنك اجتيازه أبدًا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ شكرًا أيها الوغد .. لقد أخبرتنى ما كان ينقصنى من معلومات .

عقد (سانشو) حاجبيه فى دهشة وغضب ، فى حين هتفت (منى) :

ــ ماذا تعنى يا (أدهم) ؟ .. هل سنذهب إلى .. ؟

جفّ الدم فى عروقها ، حينما قاطعها ، قائلاً فى هدوء :

ــ سنتخذ الطريق إلى الجحيم يا عزيزتى .

هتفت فى توتر :

ــ ولكن يا (أدهم) ..

عاد يقاطعها ، قائلاً :

ــ لا فارق يا عزيزتى .. كل الطرق تقود إلى نهاية واحدة .

وابتسم ابتسامة شاحبة ، وهو يردف فى هدوء :

ــ الموت .

* * *





٨ ــ المطاردة ..

غمرت الشمس منطقة جبال (الإنديز) بضوئها ، وحرارتها ، فى منتصف النهار ، وجفَّف الرجال عرقهم الغزير ، وزفروا فى تعب وتوتُّر ، قبل أن يلتفت أحدهم إلى (جارسيا) ، ويسأله فى قلق :

ــ هل أنت واثق أن الشيطان المصرى ، سيتَّخذ ذلك الطريق يا (جارسيا) ؟

أومأ (جارسيا) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ لن يكون أمامه سوى ذلك ، فلقد هرب فى أثناء قتالنا مع قطيع الذئاب ، وكنا نحن والذئاب نسد عليه الطريق المؤدِّى إلى وادى الهلاك ، فليس أمامه إذن إلَّا اتخاذ (الطريق إلى الجحيم) .

مطَّ الرجل شفتيه ، وغمغم :

ــ يبدو أنه لا يعلم ما ينتظره هناك .

ابتسم (جارسيا) فى ثقة ، وقال :

ــ إنه الجحيم بعينه يا رجل ، سينتظره رجالنا عند الممر ، بعد أن أبلغناهم لاسلكيًّا ، وسنطبق نحن عليه من الخلف ونذيقه رصاصاتنا .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف فى شراسة :

ــ سيقع الشيطان المصرىّ بين شِقَّى الرَّحى .

★ ★ ★

ألصقت (منى) فوَّهة مسدسها برأس (سانشو) ، لتجبره على التزام الصمت ، فى حين اختفى (أدهم) خلف أكمة متشابكة الأغصان ، يتطلَّع فى تركيز واهتمام إلى الممر ، الذى يطلق عليه ذئاب الجبال اسم (الطريق إلى الجحيم) ..

ومضت دقيقة كاملة ، قبل أن يلتفت (أدهم) إلى (منى) ، ويقول :

ــ إنهم عشرة رجال بالفعل ، يختفون خلف دروع من الخشب السميك ، مثل تلك التى أقام منها الوغد كوخه .

غمغم (سانشو) فى سخط :

ــ لن يمكنك عبور (الطريق إلى الجحيم) إلَّا جثة هامدة .

أشار إليه (أدهم) بيده ، وقال فى صرامة :

ــ اصمت أيها الوغد .

ثم قال لـ (منى) :

ــ ينبغى أن نجد خطة للعبور بسرعة يا (منى) ، وإلَّا أصبحنا محاصرين بين رجال (سانشو) ، وهؤلاء الذين يقومون على حراسة الممرّ .



ألصقت (منى) فوَّهة مسدسها برأس (سانشو) ، لتجبره على التزام الصمت ..

سألته (منى) فى قلق :

ــ هل لديك خطة معيَّنة ؟

عقد (أدهم) حاجبيه ، وغمغم فى تفكير :

ــ لابُدَّ من وجود منفذ ما يا (منى) ، فمن المستحيل أن ..

بتر عبارته فجأة ، وتألَّقت عيناه فى قوَّة ، ثم جذب إليه (سانشو) فى حِدَّة مباغتة ، وقال فى صرامة :

ــ لابد أن هناك وسيلة ما لعبور الممرّ ، وتفادى الألغام أيها الوغد ، كما يحدث فى المناطق الملغومة فى أثناء الحروب ، وإلَّا فما تمكن ذئاب الجبال أنفسهم من اجتياز هذا الطريق .. توجد خريطة للألغام ، أليس كذلك ؟

جفَّ لعاب (سانشو) أمام صرامة (أدهم) المخيفة ، ولكنه أجبر نفسه على الابتسام فى سخرية ، وهو يقول :

ــ ينبغى أن تتخلَّص من حرَّاس الممر أوَّلاً أيها الشيطان .

غمغمت (منى) :

ــ وسريعًا ، قبل أن يطبق علينا رجال (سانشو) من الجانب الآخر .

عاد (أدهم) يعقد حاجبيه مفكرًا ، ثم قال فى لهجة جافة حازمة :

ـ هناك وسيلة وحيدة لإنهاء الأمر بسرعة يا (منى) .

وصوَّب مدفعه الرشاش فى هدوء إلى التحصينات الخشبية السميكة ، التى يختفى خلفها رجال (سانشو) ، وقبل أن يضغط الزناد ، ارتفع زئير قوىّ ، التفت الجميع إلى مصدره فى حركة حادّة ، فطالعهم حيوان ضخم ، يشبه الهرّ فى مظهره ، والفهد فى حجمه ، وكان يتطلّع إليهم فى تحفّز ، وأنيابه الحادة الطويلة تنعكس مع ضوء الشمس ..

كان اسمه (أسد الجبال) ..

* * *

غمغمت (منى) فى توتُّر ، وهى تحدّق فى الوحش المفترس ، الذى يتحفَّز للانقضاض عليهم :

ـ أطلق النار عليه يا (أدهم) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ من الخطإ أن أعلن عن وجودنا بإطلاق الرصاص يا (منى) ، وإلّا ضاع منا عنصر المفاجأة .

قال هذا واستلَّ خنجره من عنق حذائه ، وشهره فى وجه أسد الجبال ، فغمغم (سانشو) فى مزيج من الحَنَق والذهول :

ـ ماذا سيفعل ؟! .. هل سيقاتل أسدًا جبليًّا بخنجر ؟!

وفجأة ، ومع آخر حروف كلماته وثب الأسد الجبلى ، وانقضّ على خصمه ، ورفع (أدهم) خنجره فى وجهه ، ثم اشتبك مع الأسد فى قتال عنيف ..

كان أسد الجبال شرسًا قويًّا ، يحاول تمزيق خصمه بمخالبه الحادّة ، أو غرس أنيابه الطويلة فى عنقه ، ولكن (أدهم) غرس خنجره فى معدة الأسد الجبلى ، بكل ما يملك من قوّة ، ودفع نصله إلى أعلى ، فشقَّ بطن الأسد ، الذى زأر فى ألم وغضب ، ومزّق سترة (أدهم) بمخالبه ، وحاول معاودة الهجوم ، على الرغم من أحشائه المتدلية ، ولكن (أدهم) لم يمنحه فرصة ثانية ، فقفز فوق ظهره ، وأغمد خنجره فى عنقه ، وذبحه كالنعاج ..

كان المشهد مذهلاً بالنسبة لـ (سانشو) ، ولكنه شعر أنها فرصة مثالية للفرار ، وإنذار رجاله ، فدفع (منى) فجأة ، بمرفقه ، وانطلق يعدو نحو الممر ، وهو يصرخ فى انفعال :

ـ النجدة يا رجال !! أنا زعيمكم .. أنا (سانشو) .. اقتلوا الشيطان المصرى .. وكأنّما كانت صرخته إيذانًا ببدء تراشق النيران ، فقد أطلق الرجال العشرة ، المحتمون خلف السواتر الخشبية السميكة ، نيران مدافعهم الرشاشة ، نحو المنطقة التى يختبئ فيها (أدهم) و (منى) ..

* * *

تناهت أصوات الرصاصات إلى مسامع (جارسيا) ورجاله ، فصاح فى انفعال :

ـ أسرعوا يا رجال ، لقد بدأ القتال فى الطريق إلى الجحيم ، ولست أحب أن نضيع لحظة واحدة منه .

لمّا (أدهم) و (منى) ، فقد احتميا خلف جذع شجرة كبيرة ، فى الوقت الذى انهالت فيه رصاصات حراس الممرّ كالمطر ، وهتفت (منى) :

ـ هذا الخنزير أفسد الخطة كلها .

أجابها (أدهم) فى هدوء ، وهو يختلس النظر إلى الممر :

ـ لم يضع كل شىء بعد يا (منى) .

ثم أردف فى اهتمام :

ـ إنهم عشرة رجال ، وكل منهم يختبئ خلف حاجز من ألواح الخشب السميكة ، ويطلق النار عبر ثقب خاص فى الألواح ، ولكن ..

ضاقت عيناه ، وهو يحدّق فى الألواح الخشبية باهتمام ، ثم ابتسم فى هدوء ، وغمغم :

ـ أعتقد أن هؤلاء الحرّاس سيتلقَّون مفاجأة مذهلة يا عزيزتى .

وفى هدوء ، صوَّب مدفعه الرشّاش ، وأطلقه ..

وارتفعت صرخة أحد الحراس ، وسقط من مكمنه مجندلاً ، وتبعه ثان ، وثالث ، فصاحت (منى) فى دهشة :

ـ كيف أمكنك إصابتهم خلف السواتر الخشبية السميكة ؟

ابتسم ، وهو يقول فى هدوء :

ـ نفس المبدإ يا عزيزتى .. عدة رصاصات فى الثقب ذاته .

سقطت فكها السفلى فى ذهول ، وهى تهتف :

ـ ولكن هذا ، هذا مستحيل .

هزَّ كتفيه فى لامبالاة ، وعاد يطلق رصاصاته بتلك الدقة المذهلة ، التى جعلت (سانشو) يصرخ فى ذهول :

ـ هذا مستحيل !! تلك الألواح أسمك من أن تخترقها رصاصات مدفع رشاش .

هتف أحد رجاله الخمسة الباقين فى ذعر :

ـ ولكن هذا الشيطان فعلها .. لقد أسقط نصفنا فى خمس دقائق .

عقد (سانشو) حاجبيه فى غضب ، وقال :

ـ فلتذهب الألواح ورصاصات المدافع الرشاشة إلى

الجحيم .. سننسف هذا الشيطان نسفًا .. سنغمره بالقنابل اليدوية.

تخلّى الرجال الخمسة عن سواترهم الخشبية ، وأسرعوا إلى كهف صغير ، انتزعوا منه صندوقًا خشبيًا ، يمتلئ بالقنابل اليدوية ، وحمل كل منهم قنبلة ، وهتف بهم (سانشو) :

ـــ ألقوا قنابلكم يا رجال .. أريد أن أجمع بقايا هذا الشيطان المصرى بملقط صغير .

وألقى الرجال الخمسة قنابلهم فى تتابع متقن ، وتحوّلت المنطقة التى يختبئ فيها (أدهم) و (منى) إلى أشلاء ..

* * *



٩ ـــ ممرّ الموت ..

انفجرت القنابل الخمس فى دوىّ هائل ، لم يلبث أن تحوّل إلى سكون رهيب ، لم يقطعه إلّا صوت (سانشو) ، وهو يغمغم :

ـــ هل .. هل انتهى كل شىء ؟

تمتم أحد رجاله فى حَيْرة :

ـــ لقد كان يطلق الرصاص حتى اللحظة الأخيرة ، ولن يمكنه الفرار و ..

بتر الرجل عبارته فى خفوت ، وكأنما يعجزه الشك عن إتمامها ، فهتف (سانشو) :

ـــ دعونا نرى يا رجال .. لن أثق فى مصرع هذا الشيطان ، ما لم أر أشلاءه بنفسى ..

تقدّم الرجال الخمسة فى حذر ، وهم يشهرون مدافعهم الرشّاشة ، وتبعهم (سانشو) وهو يقدّم رجلاً ، ويؤخر أخرى ، حتى أصبحوا عند المنطقة المتفجرة ، فبحثوا فى أرجائها باهتمام وقلق ، قبل أن يغمغم أحدهم :

ـــ لقد تلاشيا .. لا يوجد أدنى أثر لهما .. هل نسفهما الانفجار تمامًا ؟

صاح آخر فى لهفة :

ـــ لقد عثرت على المدفع الرشاش .

أسرع (سانشو) ، والرجال الأربعة الآخرون إليه ، واختطف (سانشو) المدفع الرشاش فى لهفة ، وهتف فى ظفر :

ـــ هذا دليل كاف .. لقد قتلهما الانفجار .

أشار أحد رجاله إلى خيط من النايلون ، يتدلّى من زناد المدفع الرشاش ، وسأله فى حَيْرة :

ـــ ما هذا ؟

اتسعت عينا (سانشو) فى مزيج من الذعر والدهشة ، وهو يحدّق فى الخيط ، وهتف فى رعب :

ـــ يا للشيطان !! .. إنها نفس الخدعة القديمة ، لقد كان يطلق المدفع الرشاش من بعيد .. إنه .. إنه ..

قاطعه صوت (أدهم) الساخر ، وهو يقول :

ـــ إننى لم أمت .. هذا صحيح أيها الوغد .

* * *

استدار (سانشو) ورجاله الخمسة إلى مصدر الصوت ، فطالعهم وجه (أدهم) الساخر ، ووجه (منى) الصارم ، وهما يصوّبان إليهم مدفعين رشاشين ، فاحتقن وجه (سانشو) حَنَقًا ، وهو يقول :

ـــ أى شيطان أنت ؟ !

هزّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وقال :

ـــ أنت صاحب فكرة إلقاء القنابل أيها الوغد ، وكل ما فعلته أنا هو حسن استغلال خطتك أنت .

ثم ابتسم فى سخرية ، وأردف :

ـــ لقد كنتم تسدون الممر الوحيد ، الذى يقودنا إلى الحرية ، ولقد أردت إبدال الأدوار ، وهاأنتم أولاء تقفون وسط الأدغال ، فى حين نسيطر أنا وزميلتى على مدخل الممرّ .

ساد الصمت لحظة ، ثم صاح (سانشو) فجأة :

ـــ صوّبوا أسلحتكم إليه يا رجال .

رفع الخمسة فوهات مدافعهم الرشاشة فى سرعة نحو (أدهم) و (منى) ، ولكن فيضًا من رصاصات مدفع (أدهم) الرشاش ، ألقى المدافع الرشاشة الخمسة بعيدًا ، وجعل أصحابها يتراجعون فى ذعر وذهول ، قبل أن يمطّ هو شفتيه ، ويقول متهكّمًا :

ـــ ماذا أصابك أيها الوغد ؟ .. حتى الحمار يتعلم بالتجربة والخطإ .

عاد وجه (سانشو) يحتقن فى غضب ، فى حين استطرد (أدهم) فى صرامة ، وهو يشير إليه ، وإلى رجاله :

ــ هيَّا أيها الأوغاد .. ستتقدَّمونا عبر الطريق إلى الجحيم ، فأنتم تعرفون الطريق الآمن من الألغام .

تردَّد الرجال الخمسة لحظة ، ولكن صيحة صارمة من (أدهم) جعلتهم يتقدَّمونه رافعي الأذرع ، وخلفهم (سانشو) ، الذى غمغم فى حَنَق :

ــ مازال الطريق أمامك طويلاً أيها الشيطان .. إنك لم تنتصر بعد .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ تقدَّم فى صمت ، وإلَّا أطلقت النار على مؤخرتك أيها الخنزير .

وفجأة دوَّى صوت طلقات نارية ، على بعد نصف كيلو متر خلف (أدهم) ، وارتفع صوت عبر مكبِّر صوت يقول :

ــ اصمدوا يا رفاق ، نحن فى الطريق إليكم .. هنا (جارسيا) على رأس فريق المطاردة .. أكرِّر .. نحن فى الطريق إليكم .

أنعشت الكلمات نفس (سانشو) ، وردَّت إليه أمل النصر ، فقفز نحو (أدهم) فى وحشية ، وهو يهتف :

ــ اهجموا يا رجال ، لقد وصل (جارسيا) .

وانقضَّ الرجال الخمسة على (أدهم) و (منى) ..

★ ★ ★

على الرغم من مفاجأة الانقضاض ، إلَّا أن التدريبات المكثَّفة ، التى يتلقاها رجال المخابرات ، تجعلهم قادرين على الاستجابة السريعة ، مهما بلغت شدة المفاجأة ..

ولقد تحرَّكت (منى) فى سرعة ، فأطلقت رصاصات مدفعها الرشاش على أقرب المهاجمين إليها ، قبل أن يطيح الثانى بسلاحها ، ويطوِّقها بذراعيه فى قوَّة ، أما (أدهم) فقد استقبل انقضاضة (سانشو) بلكمة ساحقة ، أزاحته عن طريقه ، ثم انحنى يتفادى لكمة رجل آخر ، وقفز متجاوزًا لكمة ثان ، ودار حول نفسه فى الهواء .. وركل وجه أحد الرجال ، ثم هبط على قدميه ، وحطَّم أنف الثانى ، وهشَّم فك الثالث بلكمتين متتاليتين ، أودعهما كل قوته وإصراره ، فى حين غاصت (منى) بمرفقها فى معدة الرابع ، وأحنت رأسها لتسمح لقبضة (أدهم) بكسر أسنانه ، وضمِّه إلى رفاقه ، الذين سقطوا فاقدى الوعى ..

وعلى الرغم من ضخامة جسد (سانشو) ، إلا أن



أما (أدهم) فقد استقبل انقضاضة (سانشو) بلكمة ساحقة ، أزاحته عن طريقه .

(أدهم) انتزعه من سقطته بذراع فولاذيَّة ، وأجبره على الوقوف ، وهو يقول فى صرامة وغضب :

ــ لقد أصبحت دليلنا الوحيد أيها الثور ، وستقودنا عبر الطريق إلى الجحيم ، وإلَّا قطعت أطرافك قطعة قطعة .

قال هذا ، ودفع (سانشو) أمامه فى قسوة إلى بداية الممر ، فهتف زعيم الذئاب فى حَنَق :

ــ لا تحاول .. لن أسمح لك بالفرار أبدًا .

دفعه (أدهم) فى قوَّة ، وقال :

ــ حسنًا .. سأجبرك على عبور الممرّ ، وسنكتفى بتتبع خطواتك .

كانت دفعات (أدهم) القوية تجبر (سانشو) على المضى عبر الممرّ ، وكان يقفز إلى النقاط التى لا تخفى ألغامًا ، خوفًا من أن يخطئ خطوة واحدة ، فيتحوَّل إلى أشلاء متناثرة ، وكان (أدهم) و (منى) يتبعان خطواته فى حذر ، حتى عاد صوت (جارسيا) يرتفع .. عبر مكبِّر الصوت :

ــ سننضم إليكم بعد لحظات يا رفاق .. اصمدوا .

وغمغم (سانشو) فى توتُّر :

ــ سيلحقون بنا قبل أن نعبر الممر ، وسيطلقون النار عليكما بلا رحمة .

أوقفه (أدهم) فجأة فى حِدَّة ، والتفت إلى (منى) ، قائلاً :

ــ صوِّبى مسدسك إلى رأس هذا الخنزير يا (منى) ، وأطلقى النار بلا رحمة ، إذا ما بدت منه أيه محاولة للفرار .

صوَّبت (منى) مسدَّسها إلى رأس (سانشو) ، وسألت (أدهم) فى قلق :

ــ ماذا تنوى أن تفعل ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ــ تقدَّمى أنت عبر الممرّ يا (منى) ، وسأحاول أنا إيقاف القادمين .

عادت تسأله فى عناد وقلق :

ــ ولكن كيف ؟

صمت لحظة ، ثم قال :

ــ سأنتظر وصولهم إلى الممرّ ، ثم أطلق النار على الألغام المدفونة فيه ..

وابتسم فى سخرية ، وهو يردف :

ــ سأقلب وسائلهم الدفاعية على رءوسهم كالعادة يا عزيزتى .

* * *

تحرك (سانشو) عبر الممر فى حنق ، و (منى) تتبع خطواته ، ومسدَّسها مصوَّب إلى رأسه ، وغمغم هو فى سخط :

ــ لن ينجح زميلك أيتها الفتاة .

عقدت (منى) حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

ــ لقد أصبح قولك هذا مكرَّراً سخيفًا أيها الخنزير .

قال (سانشو) فى هدوء أدهشها :

ــ هل تعلمين أن ذخيرة مدفعه الرشاش قد قاربت على النفاد ؟ .. وأنه لا يملك ذخيرة إضافية ؟

أجابته فى حِدّة :

ــ لا تدع هذا يشغلك ، سيلغى (أدهم) النظام الآلى للمدفع الرشاش ، وسيحوّله إلى بندقية ، تطلق رصاصاتها واحدة بعد الأخرى ، وستكون لديه ــ حينئذ ــ عشر رصاصات ، وهى تكفيه .

غمغم (سانشو) فى صوت أقرب إلى السخرية :

ــ إنها لن تكفيه .

قالت فى غلظة :

ــ تذكر أن كل واحدة منها ستتحوّل إلى قنبلة ، حينما تصيب اللُّغم .

أطلق (سانشو) ضحكة ساخرة خافتة ، وقال :

ــ هذا ما أريد قوله يا فتاتى ، فتلك الألغام لن تنفجر إذا ما أطلق عليها النار ، إنها معدَّة للانفجار تحت تأثير الثقل المباشر فحسب .

توقَّفت (منى) بغتةً ، وشحب وجهها فى توتُّر ، وهى تغمغم فى جزع :

ــ يا إلٰهى !! .. (أدهم) .

وفى نفس اللحظة التى نطقت فيها بعبارتها الملتاعة ، كان (أدهم) يصوِّب سلاحه إلى أحد الأماكن ، التى تحاشاها (سانشو) ، وينتظر حتى تعبر ذئاب الجبال ، ثم يطلق النار ..

* * *

١٠ ــ الانفجار ..

كان (أدهم) يتوقع انفجارًا قويًّا ، حينما أطلق رصاصته الأولى نحو النقطة ، التى توقَّع وجود اللُّغم فيها ، ولكن الرصاصة لم تسفر إلا عن دوىّ متردِّد فى أنحاء الممر ، وصوت ارتطام معدنى بسطح اللُّغم ، وإعلان عن وجود (أدهم) ..

وقفز (جارسيا) مختفيًا خلف أحد الصخور .. وصاح فى رجاله :

ــ اختبئوا يا رجال ، وأطلقوا النار ، لقد نجح الشيطان فى احتلال الطريق إلى الجحيم .

أخذ الذئاب يطلقون رصاصاتهم نحو الصخرة التى يحتمى خلفها (أدهم) ، فى حين غمغم هو فى سخط :

ــ اللعنة !! هذه الألغام لن تنفجر بإطلاق رصاصاتى .

ثم استطرد فى حَنَق :

ــ يا له من موقف !! أقل من عشر رصاصات فى مواجهة خمسين رجلاً ، وفى منطقة منبسطة ، يصعب العدو فيها ، دون أن يصاب المرء بعشر رصاصات على الأقل .

كان صوت الرصاصات التى ترتطم بالصخرة ، التى يحتمى

خلفها ، مخيفًا مزعجًا ، ولكنه استرخى فى هدوء ، وهو يقول لنفسه :

ـ أهى النهاية يا (أدهم) ، .. أم أنه هناك وسيلة للفرار ؟

وفجأة تألقت عيناه ، وهتف فى انفعال :

ـ بالطبع هناك وسيلة للفرار .

وأغلق عينيه فى قوة ، وهو يحاول استعادة مشهد ما فى ذاكرته ، ثم ابتسم فى سخرية ، وقال :

ـ سيحدث الانفجار ، حتى وإن رفضت الألغام أيها الأوغاد .

ثم برز من خلف الصخرة فجأة ، وأطلق كل الرصاصات الباقية فى مدفعه الرشاش ، نحو نقطه واحدة ، حدّدتها ذاكرته مسبقًا ..

* * *

كانت براعة نادرة من (أدهم) ، أن يختار هذا الهدف بالذات ..

لقد استعادت ذاكرته مشهد حرّاس الممر الخمسة ، وهم يخرجون الصندوق الخشبى ، الممتلئ بالقنابل اليدوية ، من الكهف الصغير ، واختار هذا الصندوق هدفًا لرصاصاته ..

وأصابت الرصاصات هدفها فى براعة ، وانفجرت القنابل اليدوية ..

انفجرت انفجارًا هائلاً ، تردّد صداه فى جبال (الإنديز) كلها ، وانهارت له الصخور من جنبات الممرّ ، ولم تكد تسقط فوق الألغام المزروعة فى باطنه ، حتى انفجرت بدورها ، واستحقّ الممرّ عن جدارة اسم (الطريق إلى الجحيم) ..

وتصلّبت (منى) مع دوىّ الانفجار الهائل ، وارتجفت أطرافها ، وهى تهتف فى جزع :

ـ ربّاه !! .. (أدهم) ؟!

وفجأة انقضّ (سانشو) بجسده الضخم على جسدها الضئيل ، وأطاح بمسدسها بضربة قوية عنيفة ..

حاولت (منى) أن تقاومه فى شراسة ، ولكن قوتها لم تكن تساوى شيئًا أمام عضلات (سانشو) المفتولة ، وجسده الضخم ، وقسوته ..

لقد لكمها زعيم الذئاب فى قسوة بالغة .. ودفعها لترتطم بالصخور ، ثم قفز والتقط مسدسها ، وصوّبه إليها ، وهو يهتف فى وحشية :

ـ لقد خسرت أيتها المصرية .



ودفعها لترتطم بالصخور ، ثم قفز والتقط مسدسها ، وصوّبه إليها ..

نهضت (منى) فى صعوبة ، وهى تشعر بآلام رهيبة فى جسدها ، من أثر ارتطامها بالصخور ، وقالت فى حَنَق :

ـ هذا الانفجار يؤكد أنّ (أدهم) قد نجح .

ابتسم (سانشو) فى سخرية وشراسة ، وهو يقول :

ـ هذا الانفجار الهائل ، يؤكد أن نصف الممرّ الذى عبرناه قد تحوّل إلى فتات صخور ، وأن الجميع قد لقُوا حتفهم ، حتى شيطانك المصرى .

هتف فى اشمئزاز :

ـ ألا يعنيك مصرع رجالك ؟

لوّح بذراعه فى حَنَق ، وهو يقول فى خشونة :

ـ فليذهب الجميع إلى الجحيم .. المهم أن أبقى أنا .

ثم رفع مسدسه إلى رأسها ، وهو يردف فى وحشية :

ـ أنا فقط .. وداعًا أيتها المصرية .

* * *

بدا المشهد فى اللحظة التالية كالمعجزة ؛ فقد برز (أدهم) فجأة ، وانقضّ على (سانشو) كفهد يثب على فريسته ، وركل مسدس (سانشو) فى مهارة ، ورشاقة ، وسرعة ، ثم غاص بقبضته فى معدته ، وهوى بقبضته الأخرى على فك

(سانشو) ، الذى ترنّح من فرط ألمه وذهوله ، وسقط أرضًا جاحظ العينين ، وهتف فى رعب هائل ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) :

ـــ هذا مستحيل !! أنت لست بشرًا .. هذا مستحيل !!

أسرعت (منى) إلى (أدهم) ، وهى تهتف فى مرح :

ـــ (أدهم) .. حمدًا لله على سلامتك .. لقد أصبحت أشبه بملاكى الحارس .

ابتسم فى حنان ، وهو يربُت على شعرها ، قائلاً :

ـــ إنها أول مرة يخاطبنى فيها أحد بخلاف لفظ الشيطان ، الذى أمقته تمامًا يا عزيزتى .

ثم انحنى فى هدوء ، والتقط المسدَّس ، وصوَّبه إلى (سانشو) ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ هيَّا أيها الوغد .. مازال الطريق أمامنا طويلاً .

كانت انتصارات (أدهم) المتوالية المذهلة ، ونجاته من أهوال شتى ، يشيب لها الولدان ، قد حطَّمت (سانشو) ، وأنهكت جسده ومعنوياته ، حتى أنه بدا كعجوز متهالك ، وهو يغمغم فى ضراعة :

ـــ الرحمة يا سنيور (أدهم) !! اتركنى أرجوك .. سأوصلك إلى نهاية الممر ، ونفترق .

قال (أدهم) فى برود :

ـــ لن نفترق إلَّا فى السفارة المصرية أيها الحقير .

ثم أردف فى صرامة :

ـــ لقد وعدت السفير ، وسأحقِّق وعدى له ، مهما كان الثمن .

* * *

تطلَّع (جارسيا) فى ألم ، وذهول ، إلى ما بقى من الطريق إلى الجحيم ، بعد هدوء الموقف ، وهتف فى حَنَق :

ـــ يا للشيطان !! .. لقد انهار الممر تمامًا .

ثم التفت إلى أحد الناجين من رجاله ، وسأله فى ضيق :

ـــ كم بقى منا ؟

أجابه الرجل فيما يشبه الانهيار :

ـــ أنا وأنت ورجلان فقط يا (جارسيا) .. لقد حطَّم ذلك الشيطان المصرىّ كل شئ . انتهت منظمة (ذئاب الجبال) .

عضَّ (جارسيا) شفته السفلى فى ألم ، وقال :

ـــ سيدفع الثمن .

ثم عاد يسأل الرجل فى توتُّر :

ـــ تُرى هل لقى مصرعه أيضًا مع الانفجار ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ لا يا (جارسيا) ، لقد رأيته يقفز فوق الصخور ، ويعود كالشيطان ، فى نفس اللحظة التى دوَّى فيها الانفجار .

زفر (جارسيا) فى غضب ، وهو يردِّد :

ـــ سيدفع الثمن .

غمغم الرجل فى تردّد :

ـــ إننا أربعة رجال فحسب يا (جارسيا) ، وأحدنا مصاب بجرح فى ذراعه .

صاح (جارسيا) فى جنون :

ـــ سأواصل المطاردة ، حتى وإن بقيت وحدى أيها الرجل .

ثم استطرد فى وحشية :

ـــ لن يحمل هذا الشيطان أبدًا لقب الرجل الذى هزم (ذئاب الجبال) .

* * *

اجتاز (أدهم) و (منى) و (سانشو) الطريق إلى الجحيم ، وأسرعوا الخطا ، فى محاولة للوصول إلى سفح الجبل ، قبل حلول الظلام ، وقال (سانشو) فى ضراعة :

ـــ لقد وصلت إلى نقطة آمنة يا سنيور (أدهم) .. اتركنى الآن .. أرجوك .

أجابه (أدهم) فى صرامة واقتضاب :

ـــ محال .

ترقرقت الدموع فى عينى (سانشو) ، معلنةً عن هزيمته ، ومذلَّته ، وهو يقول :

ـــ الرحمة يا سنيور (أدهم) !! لقد تحطَّمت منظمتى ، وأصبحت رجلاً وحيدًا ، ولو أننى وطئت أرض (ليما) بقدمىَّ على هذه الحالة ، لالتفَّ حبل المشنقة حول عنقى .

غمغم (أدهم) فى برود :

ـــ أنت تستحق ذلك .

وفجأة انتعش الأمل فى قلب (سانشو) ، حينما دوَّى صوت رصاصات مدفع رشاش ، وارتطمت الرصاصات بالصخور حول الثلاثة .. وبرز وجه (جارسيا) من أعلى هضبة قريبة ، وهو يقول فى شراسة :

ـــ إنها نهايتك أيها الشيطان المصرىّ .

* * *

١١ ـ دماء عند سفح الجبل ..

موقف عصيب آخر فى هذه المهمة المعقَّدة ..

أربعة رجال يطلقون مدافعهم الرشاشة فى شراسة ، و (أدهم) لا يملك إلَّا مسدَّسًا واحدًا ، يحمل خمس رصاصات فقط ، والطريق الممهَّد على بعد أمتار قليلة ..

ولكن إصرار (أدهم) وإرادته كانا أقوى من رصاصات المدافع الرشاشة ..

لقد دفع (سانشو) أمامه فى عنف وخشونة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ضع كل قوتك فى قدميك أيها الخنزير ، وحاول أن تعدو بكل ما تملك من قوَّة ، وإلَّا أفرغت رصاصات مدفعى الرشاش فى رأسك .

دفع الخوف (سانشو) إلى العَدْوِ ، بكل ما يملك من قوَّة ، وخلفه (أدهم) و (منى) ، ورصاصات المدافع الرشاشة تنهمر حولهم كالمطر ، و (جارسيا) يصرخ فى جنون :

ـ لا تتركوه يهرب .. أريقوا دماءه عند سفح الجبل .

ولكن (أدهم) ورفيقيه وصلوا إلى سفح الجبل ، حيث

يمتد الطريق الممهَّد ، وتلفَّتت (منى) حولها فى ذعر ، وهى تقول :

ـ لا توجد سيارة واحدة هنا .

صاح بها (أدهم) :

ـ استمرى فى العَدْوِ يا (منى) .. كل دقيقة نضيعها تجعل هؤلاء الأوغاد أقرب .

لم يكن من الممكن أن يضيع (سانشو) الفرصة الأخيرة لنجاته بهذه البساطة ؛ لذا فقد تظاهر بالتعثر ، وألقى جسده أرضًا ، وهو يصرخ بألم مصطنع :

ـ لقد التوى كاحلى .. لن يمكننى المواصلة .

جذبه (أدهم) فى عنف ، وهو يقول فى صرامة :

ـ انهض أيها المخادع ، ستواصل العَدْوَ ، ولو بساق خشبية .

ولكن رغبة (سانشو) فى النجاة من حبل المشنقة ، كانت تفوق رغبة (أدهم) فى الوصول به إلى السِّفارة المصرية ، ولقد دفعته رغبته فى البقاء إلى الانقضاض على (أدهم) بغتةً ، والقبض على معصم اليد ، التى تمسك بالمسدَّس ، وهو يصرخ فى أمل أخير :

ـ إلىَّ يا رجال !! إلىَّ يا ذئاب الجبال !!

★ ★ ★

تفجَّر غضب (أدهم) هادرًا ، مع انقضاضة (سانشو) ، فى وسط هذه الظروف المعقَّدة ، وتحوَّل غضبه إلى لكمة ساحقة ، حطَّمت فك (سانشو) .. وكسرت نصف صف أسنانه الأمامية ، وتركه (أدهم) يسقط أرضًا ، واستدار فى سرعة مذهلة ، وأطلق رصاصة من مسدَّسه ، اخترقت رأس أحد الذئاب الأربعة ، الذين يطاردونه فى شراسة ، وقفز متفاديًا سيل رصاصات المدفع الرشاش ، التى انهالت عليه ، وأطلق رصاصة أخرى ، سقط بعدها الذئب الثانى مجندلاً ، فقفز (جارسيا) ، والرجل الباقى معه خلف الصخور ، وهتف (جارسيا) فى غضب :

ـ هذا الشيطان اللعين كالقدر .. لا تطيش رصاصاته أبدًا .

لم تصل هذه العبارة إلى مسامع (أدهم) ، الذى انحنى يحمل جسد (سانشو) الضخم على كتفيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ هَلُمَّ يا (منى) .. سنبتعد عن هنا بقدر الإمكان .

هتفت (منى) فى حَنَق ، وهى تعدو إلى جواره :

ـ ألق هذا الحمل القذر عن كتفيك .. إنه يعوق فرارنا

أجابها فى صرامة :

ـ سأخسر كل ما فعلت ، لو أننى تركته .

لم يكد يتم عبارته ، حتى برزت سيارة فى الطريق ، تنطلق نحو (ليما) ، فلوَّح (أدهم) لقائدها بيده ، هاتفًا :

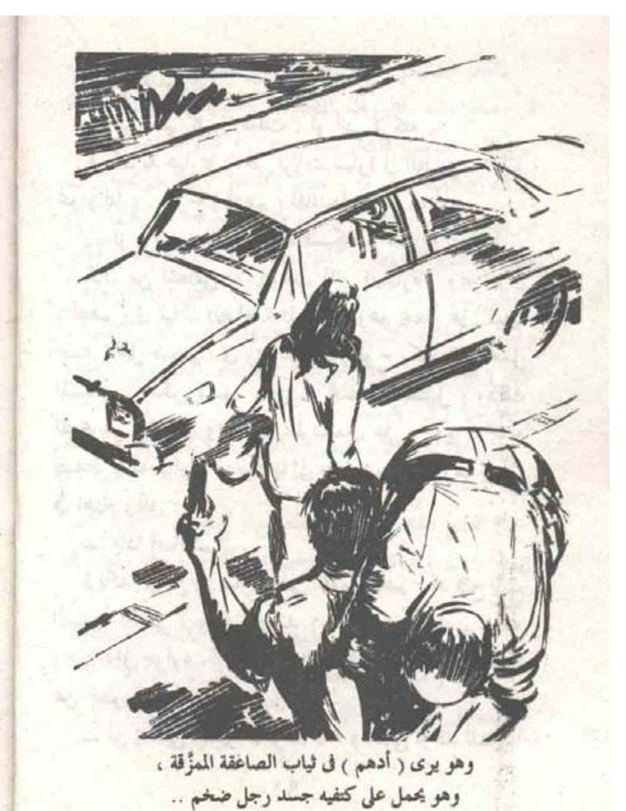
ـ لو توقَّف هذا الرجل ، فسيكتب النجاح لعمليتنا .

كان من المنطقى ألَّا يتوقَّف قائد السيارة ، وهو يرى (أدهم) فى ثياب الصاعقة الممزَّقة ، وهو يحمل على كتفيه جسد رجل ضخم ، فى زى مماثل ، ويلوِّح بكفه التى تحمل المسدَّس ، ولكن مشهد (منى) بجسدها الضئيل ، وذلك المزيج من الإرهاق والذعر ، المرتسمين على وجهها ، جعله يضغط كابحة سيارته ، ويوقفها إلى جوارهم تمامًا ، وهو يسأل فى اهتمام وقلق :

ـ ماذا أصابكم ؟

لم يكد الرجل يتم عبارته حتى كان (أدهم) قد فتح باب السيارة الخلفى ، وألقى جسد (سانشو) داخله ، ودفع (منى) إلى جواره ، ثم قال لقائد السيارة فى لهجة جادَّة ، تشف عن خطورة الموقف :

ـ لن يمكننى تفسير الأمر الآن ، ولكننى أؤكد لك أننا



وهو يرى (أدهم) فى ثياب الصاعقة الممزقة ،
وهو يحمل على كتفيه جسد رجل ضخم ..

فى الجانب الخيِّر من الحياة ، وأن نجاتنا جميعًا تعتمد على أن تترك لى قيادة السيارة .

شىء ما فى كلمات (أدهم) ، أو مظهره ، أو أسلوبه ، جعل الرجل يتنازل عن مقعد القيادة فورًا ، ويقفز إلى المقعد المجاور ، ويتطلَّع إلى (أدهم) فى دهشة ، وهو يقفز خلف عجلة القيادة ، وينطلق بالسيارة فى مهارة تستحق الإعجاب ..

وأيًا ما كان هذا الشىء ، فلا ريب أن رصاصات المدفعين الرشاشين ، اللذين أطلقهما (جارسيا) وزميله على السيارة ، كانت السبب الرئيسى لسرعة استجابة الرجل ودهشته ، وإن لم يمنعه هذا من أن يسأل (أدهم) فى توتُّر :

ـــ من أنتم ؟ .. وماذا يحدث هنا ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـــ إنها قصة طويلة يا سنيور .

هتف الرجل فى عصبية :

ـــ من حقى أن أعرفها ، مادامت سيارتى ستشارك فيها .

مطَّ (أدهم) شفتيه ، دون أن يجيب ، فى حين غمغمت (منى) :

ـــ هل يكفيك أن تعلم ، أن هذا الخنزير الفاقد الوعى إلى جوارى ، هو (سانشو) ، زعيم ذئاب الجبال ؟

شحب وجه الرجل ، وانكمش فى مقعده ، وهو يغمغم فى رعب :

ـــ (سانشو) ؟! .. هل .. هل أنتما من ذئاب الجبال أيضًا ؟

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ لا يا سنيور .. لقد انهارت منظمة ذئاب الجبال ، انهارت إلى الأبد .

أتاه صوت (منى) ، يقول فى اضطراب واضح :

ـــ يبدو أن هذا سابق لأوانه يا (أدهم) ، فهناك سيارة قوية تطاردنا ، وتطلّ من نافذتها ماسورة مدفع رشاش .

★ ★ ★

ضغط (جارسيا) دوَّاسة الوقود فى سيارته بقوة ، وهو يقول فى شراسة :

ـــ من سوء حظك أن عبرت هذه السيارة القوية بعد فرارك أيها الشيطان المصرى ، إن سرعة سيارتك الصغيرة لن تنافس سرعة هذه السيارة أبدًا .

قال الرجل الجالس إلى جواره فى قلق :

ـــ من حسن حظنا نحن أن نجحنا فى الاستيلاء عليها بسرعة

يا (جارسيا) ، فقائدها كان ينوى الفرار ، حينما رأى المدفعين الرشاشين فى أيدينا ، ونحن نطلب منه التوقف .

غمغم (جارسيا) فى سخط :

ـــ هذا الغبىّ .. لقد كان يستحق رصاصتى ، التى اخترقت رأسه .

ثم زاد من سرعة سيارته ، وهو يردف فى سخرية مريرة :

ـــ ولا أريد منك أن تبخل على ذلك الشيطان المصرى بالرصاصات ، حينما تتجاور سيارتانا .. أريد منك أن تحوِّله إلى فتات متناثر

فى نفس اللحظة كانت (منى) تقول لـ (أدهم) فى توتر :

ـــ سيلحقان بنا بسرعة يا (أدهم) ، فقوة سيارتهم تفوق قوة سيارتنا كثيرًا .

أجابها (أدهم) فى صرامة :

ـــ سيكون من سوء حظهما أن ينجحا .

لم تكد عبارته تكتمل ، حتى جاورته سيارة (جارسيا) ، وأصبحت تنطلق إلى يساره تمامًا ، وهتف هذا الأخير فى شراسة :

ـــ أطلق النار يا (دينو) .. حوِّل هذا الشيطان المصرى إلى مصفاة .

وفى سرعة ووحشية ، رفع (رينو) فوهة مدفعه الرشاش نحو (أدهم) ، وصرخ فى غضب وسادية :

ـــ الوداع أيها الشيطان .

ودوّى صوت الرصاص ، عند سفح الجبل ..

* * *

دوّى صوت الرصاص بالفعل ، ولكنه لم يكن ينطلق نحو (أدهم) .. وإنما كان اتجاهه عكسيًّا ..

كان ينطلق من مسدّس (أدهم) ، إلى رأس (دينو) ، الذى جحظت عيناه ، وسقط المدفع الرشاش من يده ، وسقطت رأسه على صدره ، وسالت منها الدماء فى غزارة ، واتسعت عينا (جارسيا) فى ذهول ، وضغط كمّاحة سيارته بحركة تلقائية ، وهو يهتف :

ـــ يا للشيطان !!

ثم امتلأت عروقه بدماء الغضب ، حينما تجاوزته سيارة (أدهم) ، وابتعدت فى سرعة ، مستغلّة هبوط سرعته المفاجئ ، فصرخ فى جنون :

ـــ سيكون هذا آخر ذئب جبال تقتله أيها الشيطان المصرى .

ثم ضغط دوّاسة الوقود فى قوة ، حتى كادت قدمه تخترق أرض السيارة ، وانطلق كالصاروخ خلف سيارة (أدهم) ..

وفى نفس اللحظة استعاد (سانشو) وعيه ، وحدّق فيما حوله بذهول ، وسمع (منى) تهتف :

ـــ سيلحق بنا مرة أخرى يا (أدهم) .. كم رصاصة بقيت معك ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

ـــ رصاصة واحدة يا (منى) .

تراجعت فى مقعدها ، وهى تغمغم فى خوف :

ـــ يا إلهى !!

قال (أدهم) فى صرامة :

ـــ ليس أمامنا سوى المواجهة يا (منى) .

وفى حركة سريعة ، دار بسيارته فى مهارة مذهلة ، وانطلق صرير العجلات فى قوة ، جعلت صاحب السيارة يصرخ فى ذعر ، وقد خيّل إليه أن السيارة ستنقلب رأسًا على عقب ، ولكن مهارة (أدهم) الخرافية جعلتها تتزن فى إتقان ، ثم تندفع مرّة أخرى فى مواجهة سيارة (جارسيا) ، وهتف صاحب السيارة فى رعب :

ـــ ماذا تفعل أيها المجنون ؟ .. ستحطّم سيارتى إربًا ، إذا ما ارتطمت بهذه السيارة القويّة .

أجابه (أدهم) فى حزم ، وهو يواصل اندفاعه الجنونى نحو سيارة (جارسيا) :

ـــ إنها رصاصة واحدة يا سنيور ، وأنا لا أحب أن أترك أى احتمال للخطإ .

حبست (منى) أنفاسها ، حينما علمت ما ينتويه (أدهم) ، واتسعت عينا (سانشو) فى ذعر ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه فى غضب ، وهتف فى أعماقه :

ـــ لن أتركه يقتل (جارسيا) .. لن أترك هذا الشيطان يدمّر آخر أمل لى ، ولذئاب الجبال .

وفى نفس اللحظة التى استعدّ فيها (أدهم) لإطلاق النار ، وفى الوقت الذى لم تعد المسافة بين السيارتين تسمح فيه بإضاعة لحظة واحدة ، تعلّق (سانشو) بعنق (أدهم) ، وصرخ فى جنون :

ـــ لن أسمح لك هذه المرّة أيها الشيطان .. لن أسمح لك .

* * *

١٢ ـــ آخر الذئاب ..

كان ذلك الطريق ، عند سفح الجبل ، ضيّقًا ، لا يسمح بالمناورة بين سيارتين ، وكانت المسافة بين مقدمتيهما تقل فى سرعة مخيفة ، ولم يكن (أدهم) مستعدًّا لخسارة معركته ، بعد أن أصبح قاب قوسين أو أدنى من النصر ؛ لذا فقد أدار يده فى سرعة مذهلة ، ولطم وجه (سانشو) بمسدّسه ، فألقى به على المقعد الخلفى ، ثم عاد يلتفت إلى الامام ، وأطلق رصاصته الوحيدة من نافذة السيارة ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها (جارسيا) فى ذهول :

ـــ ماذا يفعل هذا الشيطان المجنون ، لو أنه ارتطم بسيارتى فسأشق سيارته نصفين ، ولن يجد الوقت لـ ..

بتر عبارته فجأة على الرغم منه ، فقد اخترقت رصاصة (أدهم) زجاج السيارة الأمامى ، واستقرت فى رأسه ، فجحظت عيناه فى ألم وذهول ، وفقدتا بريق الحياة ، وتصلّبت قبضتاه على عجلة القيادة ، وجمدت قدمه على دوّاسة الوقود ، واستمرت السيارة فى اندفاعها نحو سيارة (أدهم) ، يقودها رجل قتيل ..

وصرخت (منى) فى رعب ، وتشبّث صاحب السيارة

بمقعده فى ذعر ، واتسعت عينا (سانشو) فى خوف ، وتجمّدت الدماء فى عروقه ، ورأى الموت يطل من سيارة تلميذه القتيل (جارسيا) ..

★ ★ ★

مطّ السفير المصرى شفتيه فى ضيق ، وهو يتطلّع إلى الحقيبة الكبيرة ، التى تمتلئ بأوراق النقد الخضراء ، وسأل سكرتيره فى حنق واضح :

ـ هل تحتوى الحقيبة على مليون دولار كاملة ؟

أجابه سكرتيره فى ضيق مماثل :

ـ لا تنقص دولارًا واحدًا يا سيّدى ، وستذهب كلها إلى (سانشو) .

عقد السفير حاجبيه ، وهو يقول :

ـ لم أكن أتصوّر هذه النهاية أبدًا ، حينما وصل ذلك المقدّم وزميلته إلى هنا .

ثم ابتسم فى مرارة ، وهو يستطرد :

ـ لقد اقنعتنى ثقته بنفسه جدًّا فى البداية .. تصوّر أنه وعدنى أن يجثو (سانشو) على ركبتيه هنا أمامى ، ويطلب منى الرحمة .

زفر السكرتير فى ضيق ، وقال :

ـ يا له من وعد !! إننى أتمنىّ الآن ألّا يطلب منا (سانشو) أن نجثوَ نحن على الأرض ، ونتضرّع إليه أن يعيد إلينا رجل المخابرات وزميلته .

لم يكد السكرتير يتم عبارته ، حتى اقتحم أحد رجال أمن السفارة مكتب السفير ، وصاح فى دهشة واضحة :

ـ سيّدى .. لقد وصل (سانشو) .

رفع السفير حاجبيه فى دهشة ، وغمغم فى سخط :

ـ وما الذى يدهشك فى ذلك ؟ دعه يأتى ويتسلّم نقوده .

هتف الرجل فى حَيْرة :

ـ ولكن يا سيّدى .....

قاطعه السفير فى حَنَق :

ـ ولكن ماذا ؟

وفجأة اتسعت عينا السفير فى ذهول ، وتراجع سكرتيره كالمصعوق ، حينما اندفع (سانشو) بجسده الضخم داخل الحجرة ، و (أدهم) يمسك عنقه فى صرامة ، وخلفهما برزت (منى) ، وهى تبتسم فى سعادة وظَفَر ..

وهتف السفير فى فرح غامر :

ـ يا إلهى !! .. إننى لم أتصوّر عودتك أبدًا أيها المقدّم .

ولكن (أدهم) لم يجب عبارة السفير ، وإنما ضغط عنق (سانشو) فى قوّة ، وهو يقول بالإسبانية فى صرامة مخيفة :

ـ اجث على ركبتيك أيها الخنزير .

جثا (سانشو) على ركبتيه ، أمام عيون السفير وسكرتيره ، ورجل الأمن ، الّذين تملكهم ذهول شديد ، وغمغم زعيم الذئاب فى ضراعة :

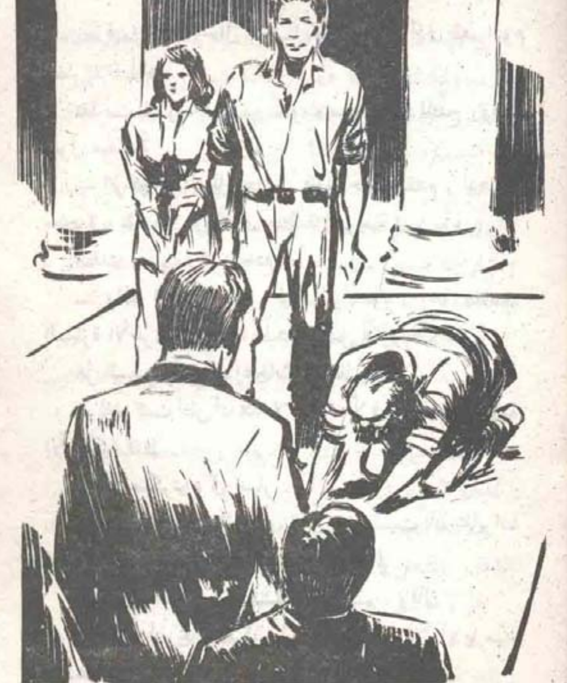
ـ الرحمة يا سيّدى السفير !! الرحمة يا سنيور !!

حدّق السفير فى وجه (سانشو) بذهول ، ثم رفع عينيه إلى (أدهم) ، الذى نصب هامته ، وقال فى صلابة :

ـ لقد حقّقت وعدى يا سيادة السفير ، وهذا الوغد الراكع أمامك هو آخر ذئاب الجبال ، لقد مُحى اسم هذه المنظمة من تاريخ الإجرام إلى الأبد .

★ ★ ★

أحاط رجال أمن السفارة بـ (أدهم) ، يهنئونه فى انبهار وإعجاب ، ويسألونه أن يقصّ عليهم تفاصيل معركته مع ذئاب الجبال ، ولكنه ابتسم فى إرهاق ، وقال وهو يلوّح بذراعيه فى هدوء :



جثا (سانشو) علىٰ ركبتيه ، أمام عيون السفير ، وسكرتيره ..

— فيما بعد يا رجال .. فيما بعد .. فأنا لم أذق طعم النوم منذ ثلاثة أيام .

تقدّمت إليه زوجة السفير بكوب من الليمون المثلّج ، وهى تقول مبتسمةً :

— اتركوه الآن يا رجال ، فلقد حقّق المقدّم (أدهم) معجزة ، بقضائه على أقوى منظمة إجرامية فى (بيرو) .

هتفت (منى) فى سعادة :

— ولقد فعلها وحده ، ليتكم رأيتموه ، وهو يتفادى السيارة الأخرى فى براعة مذهلة ، قبل أن ترتطم بنا .

هزّ السفير رأسه فى إعجاب ، وقال :

— لقد كنت أظن أن هذا لا يحدث إلّا فى الأفلام السينمائية الأمريكية فقط .

وهتف سكرتيره فى انبهار :

— من قال هذا يا سيّدى ؟ .. هل نسيت أنّ مخابراتنا المصرية من أعظم أجهزة المخابرات فى العالم .

تطلّع إليه السفير فى دهشة ، ثم ابتسم ، وقال :

— يبدو أن نجاحك قد بدّل الكثير من الآراء يا سيّد (أدهم) .

وافقه الجميع فى حماس ، ثم سألته زوجة السفير فى اهتمام :

— ولكنك بذلت جهدًا إضافيًّا لحمل (سانشو) إلى هنا يا سيّد (أدهم) .. هل كان ذلك بسبب وعدك للسفير فقط ؟

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال :

— بل كان هناك سبب آخر يا سيّدتى .. فتحطيم ذئاب الجبال يفقد قوته ، ما لم يقترن بضجة إعلاميّة مناسبة ، ولا توجد ضجّة إعلامية أكبر من محاكمة زعيم ذئاب الجبال ، وإعدامه .

ثم استطرد فى صرامة :

— بهذا فقط يعلم الجميع أن أمن مصر أخطر من أن يحاول أى مخلوق المساس به .

مسّت عبارته عواطف الجميع ، واختلجت لها قلوبهم ، وغمغم السفير فى حماس :

— لقد انتهت أعظم مهامك بالنجاح أيها المقدّم ، ويحق لك الشعور بالفخر الآن .

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

— لا سيّدى .. لم تنته مهمتى بعد ، فما زال هناك وغد لم يلق جزاءه بعد .

سألته (منى) فى دهشة :

— من تعنى يا (أدهم) ؟

أجابها فى هدوء :

— المفتش (رود) .

* * *

١٣ — الختام ..

صعد المفتش (رود) إلى منزله فى خطوات سريعة ، ودسّ مفتاحه فى ثقب الباب ، وهو يغمغم فى حنق :

— تبًّا لـ (سانشو) ورجاله ، لقد اعتدت الإنفاق بسخاء ، حينما كنت أتلقىّ راتبًا شهريًّا ضخمًا منهم ، فماذا أفعل الآن ، بعد أن سقط هو فى قبضة الشرطة ، وتحطمت منظّمته كلها ؟

دفع باب منزله فى حِدّة ، وأغلقه خلفه فى عصبية ، ثم أشعل سيجارته ، ومدّ يده ليضىء مدخل المنزل ، ولكن يده تسمّرت فى مكانها ، واتسعت عيناه فى ذعر ، وهو يحدّق فى الرجل الذى يقف هادئًا فى ركن المدخل ، وسقطت سيجارته من بين شفتيه ، وهو يغمغم فى خوف :

— من هناك ؟

تحرّك الرجل نحوه فى برود ، وهو يقول :

— ألم تعرفنى أيها الوغد ؟

أسرعت يد (رود) تضىء المدخل ، ثم تراجع فى رعب ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، ويهتف فى صوت مختنق :

— يا للشيطان !! .. أنت ؟!

ثم لوَّح بذراعيه فى ذعر ، وهو يهتف :

ـ لقد أمرنى (سانشو) بذلك .. إننى لم ..

أخرسه (أدهم) بلكمة ساحقة على فكه ، أعقبها بأخرى هشَّمت أنفه ، وثالثة غاصت فى معدته ، سقط بعدها (رود) ، وهو يتأوَّه فى ذعر وألم ، فاعتدل (أدهم) ، وقال فى برود وصرامة :

ـ لقد انتهيت أيها الخائن الحقير .. لقد أرسلت إلى الشرطة كل ما يثبت تورطك مع ذئاب الجبال .. ستدفع ثمن خيانتك غاليًا .

حاول (رود) إيقاف نزيف الدم الغزير من أنفه وأسنانه المحطَّمة ، وهو يقول فى ذعر :

ـ لماذا فعلت ذلك ؟ .. لماذا فعلت ذلك ؟

قلب (أدهم) شفته فى احتقار ، وقال :

ـ هذا جزاء كل من يحاول المساس بأمن مصر .

ثم تجاوز (رود) فى هدوء ، وغادر شقته ، وأغلق بابها خلفه ، ووصل إلى مسامعه نحيب الخائن ـ وهو يهبط فى درجات السلم بهدوء ـ حتى وصل إلى الطريق ، فاتجه فى خطوات ثابتة هادئة إلى سيارة أنيقة ، تقف ساكنة إلى جوار الطريق ، وتجلس (منى) خلف عجلة قيادتها ، وفتح بابها الأيمن وجلس إلى جوار (منى) ، التى سألته فى هدوء :

ـ هل انتهت مهمتك ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يغلق عينيه ، فعادت تسأله :

ـ هل تشعر الآن بالارتياح ؟

ابتسم وهو يسند رأسه إلى مقعده فى استرخاء ، وغمغم :

ـ كلَّ الارتياح يا عزيزتى .

أدارت محرِّك السيارة ، وهى تقول :

ـ أعتقد أنه ينبغى أن ننطلق الآن إلى المطار ، فستقلع طائرتنا بعد ساعتين فقط .

أجابها فى صوت متكاسل :

ـ افعلى ما ترينه صوابًا يا عزيزتى ، ولا توقظينى حتى نصل إلى المطار .

ابتسمت وهى تتأمله فى حنان ، ثم انطلقت بالسيارة ، وهى لا تصدِّق وجوده حيًّا إلى جوارها ، بعد ذلك الصراع الدامى ، وبعد كل هذا الفيض من الذئاب .. والدماء .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩